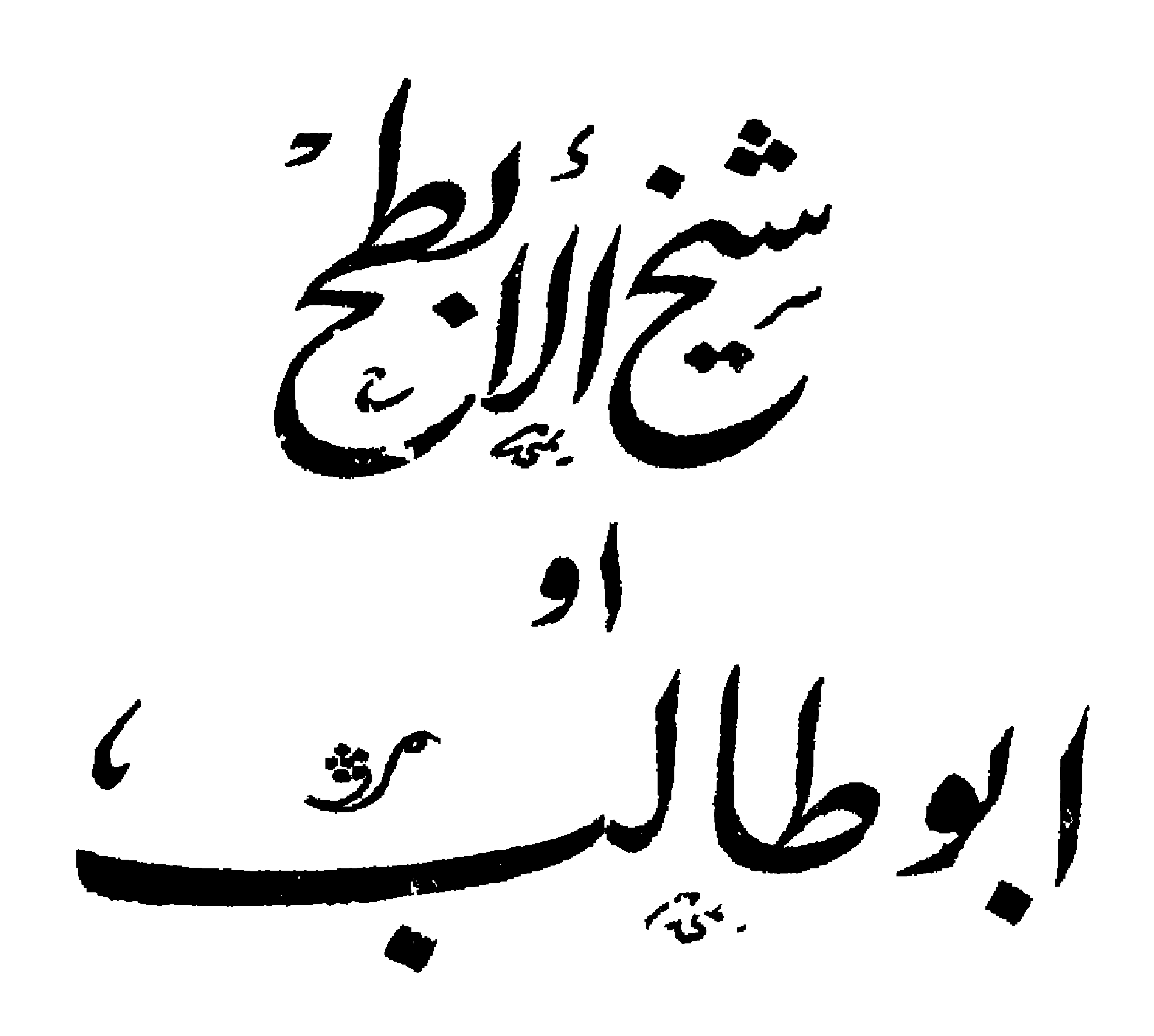


كتاب تاريخي وفلسفي علمي

لمؤلفه

السيد محمد علي شرف الدين الموسوي

العاملي

مطبعة دار السلام في بغداد

رمضان سنة ١٣٤٦ هـ

تنبيـــــه

وقع فى تعليقتنا على ص ٢٠ تقدير الخمسمائة درهماً بمائة وخمس وسبعين ليرة ذهبا وذلك اعتمادا على ما استفدناه من السيرة الحلبية ـ ص ١٥٤ ط مصر سنة ١٢٢٩ ـــ من كون الدرهم معياراً لوزنه من الذهب والا فالمستفاد من كلمات الفقهاء ان الخمسمائة درهم هى النقد الفضى كان شائع الوجود فى ذلك العصر وهى على هذا التقدير لاتزيد على ٥٠ دينارا التى تساوى خمس وعشرين ليرة ذهبا تقريبا وهنا ننتهز الفرصة للاعتذار من القراء الكرام عما وقع فى الكتاب من الاغلاط المطبعية على الرغم من حرصنا الشديد على ملافاتها غير ان الذى يهون الخطب ان الكثير منها مما لايخفى على فطنة القارئ اللبيب على انا قد اشرنا الى المهم منهـــا فى جدول الخطأ والصواب واليك الجدول ؟

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤	١٠	عفى	عفا
٦	٢	جزيمة	خزيمة
٨	١٧	مكتسب	مكتسبا
٣٩	١٣	فى المنتجب	مع المنتجب
٤٠	١٦	ونلستضعفين	والمستضعفين
٤١	١٠	نظر	نظراً

فهرس الكتاب

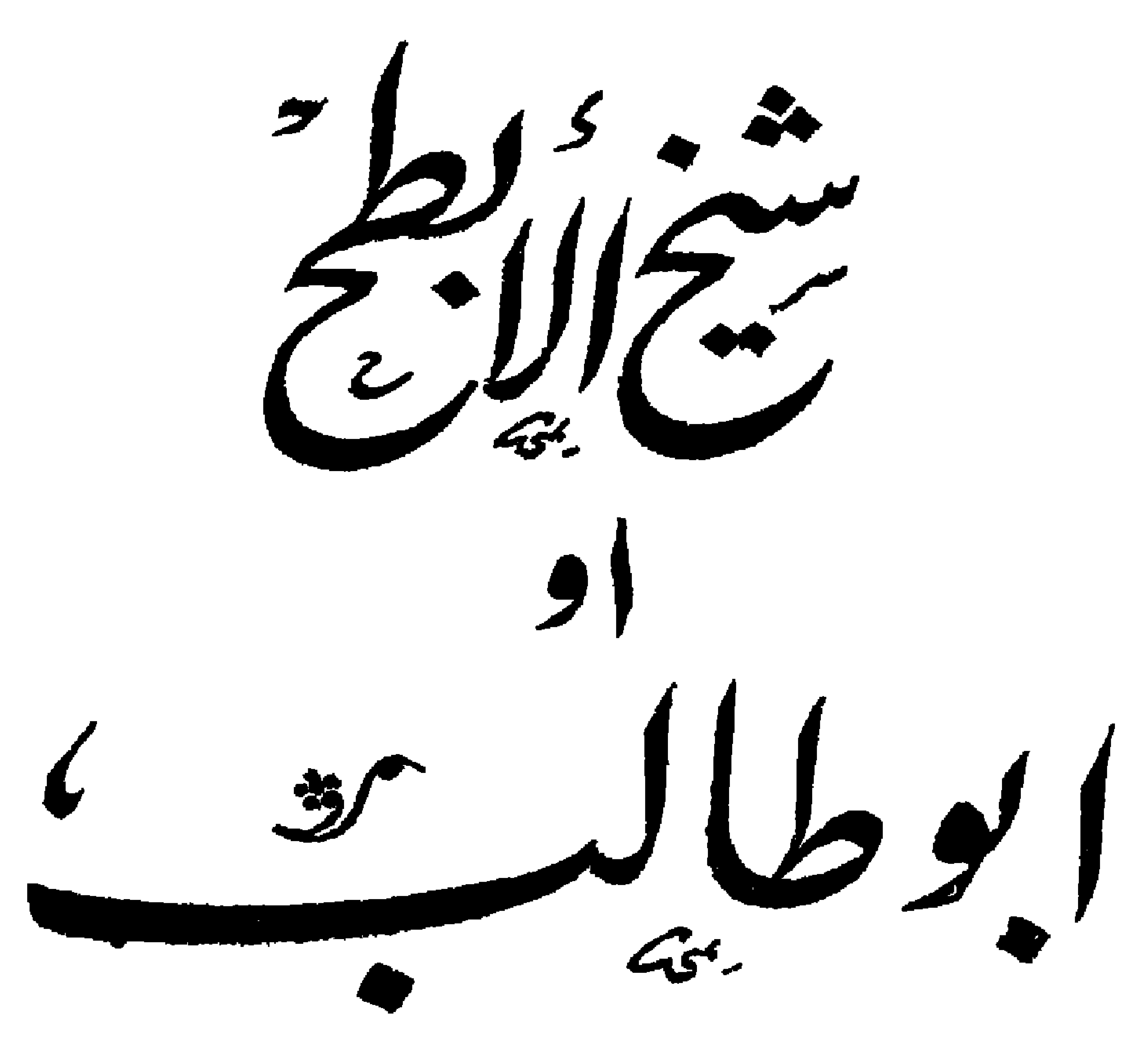
صفحة

صفحة

صفحة

صفحه





كتاب تاريخي فلسفي علمي

لمؤلفه

السيد محمد علي شرف الدين الموسوي

العاملي

مطبعة دار السلام في بغداد

رمضان سنة ١٣٤٩ هـ

مقدمـــة

او

اهداء الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين

كان العرب وغير العرب يسيرون على مناهج شتى واطوار مختلفـة فى شؤون معائشهم واديانهم وآدابهم واخلاقهم حسب اختلاف بيئاتهم فكـنت ترى فى جزيرة العرب — ودع عنك ماسواها — صنوفا من المعاملات وانواعا من الانكحة مستهجنة وغير مستهجنة وضروباً من قبائح العادات ومناحى من المعتقدات، فمن كتابي — يهودى ونصراني — الى وثنى الى صابئى، الى مجوسى، ذلك ماكان شائعاً ثمة من المعتقدات

ولما نطق ناطق الحق — محمد (ص) — وصدع بما أمر بـــه مبشراً ونذيراً. قلب هذه المناهج رأساً على عقب وغـــير مناحى الامم والشعوب ووحد صفوف العرب، معتقداً واخلاقا.

بيد انذلك بعـــد المتاعب والمشاق واجتياز كل عقبة كأداء

بفضل الحجج البالغة والبراهين الدامغة مشفوعة بحدود الصفاح واسنة الرماح فكان بعد ذلك لصرخـــة صارخ الدين دوى قوى ونبأ عظيم فى انحاء الكرة ولذا ساد الخيف واستولى الهلع والرعب على افئدة الجبابرة فى ممالك الارض ، نعم ذلك لهيبـــة الحق وسر النبوة وعناية الله تعالى فى تأييد دينه

ومن هنا كان النصر حليف (الخلفاء) من بعده (ص) وكان بريد الظفر يسعى بين ايديهم ،وعن يمينهم وشمالهم، فباسم النبي(ص) افتتحت ممالك الاكاسرة والقياصرة وباسمه (ص) تطوع فى جيش الاسلام جماهير الامم المختلفة فاخلصوا فى العمل موحدين ، وبدينه تكون للعرب ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاتلانتيكى ـــ ش وغ ـــ ومن سواحل البحر الاحمر الى سواحل بحر قزوين ـــ ش و ج ـــ فى سرعة لم يحك التاريخ مثلهـــا فى الفتوحات واكتساح الممالك الشاسعة ومن المقرر تاريخاً انه ما تم لمحمد(ص) ذلك النجاح الباهر والظهور على العرب وهم اولو العزة والقوة والعدد والعدة ، وما تسنى له جمعهم تحت لواء النبوة خاضعين اذلاء صاغرين الا بجهود عمه ابى طالب (ع)

اجل وما أستغل العرب هذا الملك العقيم الا من حقول تلك الجهود ، فابو طالب هو وحده الذى اخذ على عاتقه نصرة النبي (ص) مهما كلفه الامر ، وهو وحده الذى شجعه على نشر مباديه يوم لم يكن له ناصر ولا معين وهو الذى وثـــق له من المضيق طرقا

واسعة للسعي وراء تأييدها، وهو الذي كلف نفسه اقصى مايتصور في تكليف المرء نفسه في الدفاع عنه (ص)، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته، وهو الذي قيضه الله تعالى لمحمد (ص) ليتم به كلمته، ذلك كله بشاهد نظرة واحدة في اي كتاب ترتضيــة من سيرة النبي (ص)

اذاً فابو طالب هو المساعد الاول في وضع الاحجار الاولى في بناء هذا الدين القويم، وهو صاحب الفضل الاول بعد النبي (ص) في اقامة هذا الصرح العظيم، وعليه فابو طالب حقيق بـان يكون في الدرجة الاولى من ابطال التاريخ واقطابه

اذاً فلماذا لم نجد في محررات المؤرخــين عفى الله عنهم تحت عنوانه سوى كلمات لاتتجاوز الاسطر في ترجمة حاله ؟؟؟، ولماذا ماعناهم من امره ماعناهم من امر غيره ممن هو دونه ودونه بدرجات نسباً وحسباً وشخصية وآثاراً ؟؟؟ يمكنك ان تقف عـلى سر اعراضهم عن هذا الامر فيما بعد ان شاء الله تعالى

كثيراً ما كان يخطر في البال ان اكتب في هذا الموضوع موضوع ترجمه ابي طالب وفي دفع ماعلق في اذهان البعض من الشبه في حقه ذلك عندما ارى هاهنا المجاهد الاول في الحقوق على الاسلام عامة وعلى نبينا (ص) بالخصوص، ومازالت هذه الفكرة تتجسم في نظري كلما سمعت وقرأت ان بعض اخواننا من المسلمين مازالو ولا يزالون يذكرون على المنابر في خطبتي العيدين والجمعة عمى

النبي (ص) حمزه والعباس بما يجب ولا يأتون على ذكر ابي طالب اصلا حتى كأن الله لم يخلقه عندهم (١) على حين انه هو صاحب الفضل على الجميع وهو اولى الدعامتين اللتين قام عليهما بناء هذا الدين

ولولا ابو طالب وابنه لما مثل الدين شخصا فقاما

وللعمل بالفكرة واداء لواجب حق المجاهد وتكريما لمقامه السامى أؤلف كتابي هذا والى كل من النبي (ص) ووصيه امير المؤمنين علي (ع) ارفعه هدية بكلتا يدي خاضعا ضارعا لقدسي مقامهما وعظمته ومن الله استمد المعونة وارجو القبول واسئله تعالى ان يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم نصرة للحقيقة وذوداً عن حياض الحق وهو حسبي

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه

١

اسمه عبد مناف وقيل عمران وقيل شيبة والقابه كثيرة منها شيخ الابطح وسيد البطحاء ورئيس مكة، وكنيته ابو طالب وبها اشتهر فهو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن

(١) قال صاحب العرفان الاغر في حاشية العدد الاول من المجلد التاسع عشر ص ٦٠ (اليس من افظع الظلم ان يقال على المنبر اللهم ارض عن عمي نبيك حمزة والعباس ويترك ابو طالب)

مره بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن جزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

لايختلف النسابون فى نسبه الى عدنان ويختلفون فيما فوق ذلك اختلافاً كثيراً فبينما نرى احدهم يعد بين عدنان وبين اسماعيل(ع) اربعة آباء واذا بالاخر يعد لنا بينهما سبعة آباء وثالث يجعل بينهما اربعين ابا وهلم فاسمع اختلافهم فى الاسماء يقول بعضهم عدنان بن ادد ويقول آخر عدنان بن ميدع وثالث يقول عدنان بن اد وهكذا تجد الاختلاف صاعداً فى سلسلة آبائه حتى تنتهى الى اسمعيل.

كذا رأينا الاختلاف زيادة ونقيصة فى العدد والتغاير فى الاسماء ولم نر مايصح عن النبى (ص) فى تأييد احد الاقوال ولذا وقفنا على عدنان ولم نتجاوزه فى نسب ابي طالب، والذي نستريح اليه جداً فى الوقوف على عدنان هو مايرويه بن سعد وابن عساكر عن ابن عباس من ان النبى (ص) كان اذا انتسب يقف على عدنان ولا يتجاوزه ويقول كذب النسابون قال الله تعالى (وقروناً بين ذلك كثيراً) .

ففى وقوف النبي (ص) على عدنان مع استشهاده بالاية الكريمة حكمة بالغة فى اظهار كذب النسابين مضافا الى تصريحه بالطعن فيهم ولعل سلوك هذا المسلك فى تكذيبهم كان مما لابد منه لمقتضيات مقامية فى ذلك الزمن كما لا يخفى

كان من اللازم ان نشير الى شيء من ترجمة آبائه بيد انه لمراعاة الاختصار و للاقتصار على الموضوع اضربنا عن ذلك وعلى اى حال فدونك كتب التاريخ فهم اقطابه على مآثرهم يدورو الخلائق من سنا انوارهم تستمد النور

علماء أئمة حكماء يهتدى النجم باتباع هداها

مولده ونشأته

٢

ولد فى ام البلاد العربية البلد الامين — مكة — قبل ولادة النبي (ص) بخمس وثلاثين سنة الموافق لسنة ٥٣٥ ميلادية ونشأ فى حجر والده عبد المطلب وتخرج على يده .

هنا يلزمنا ان نتعرف بوالد المترجم ، ونعرفه للقراء باختصار ، فان ذلك يساعدنا على تصور نشأته — ان شيبة الحمد (عبدالمطلب) من عرفه التاريخ باستعداده الفطرى وعلمه وحلمه وحكمته وحدثنا عن بروز شخصيته فى قريش ، وسيادته فيها سيادة مطلقة فقال : كان عبد المطلب مفزع قريش فى النوائب ، وملجاها فى الامور ، فهو حكيم قريش وحليمها وحاكمها وشريفها وسيدها كمالا وفعالا غير مدافع ، ولقد افصح التاريخ ايضا عن بلوغه الغاية فى الحكمة وصفاء النفس ، ولذا توصل الى رفض عبادة الاصنام ، فوحد الله سبحانه وتعالى ، وانت ترى اثر صفاء نفسه

عندما تتلو ماأثر عنه من سن السنن التي نزل القرآن باكثرهـــا ، وجاءت السنة بها جمعاء — منها — الوفاء بالنذر ، وقطع يد السارق والمنع من نكاح المحارم ، والنهي عن قتل الموؤدة ، وتحـريم الخمر والزنا ، وحظر طواف العراة في بيت الله الحرام .

ويظهر لنا من كلماته المأثورة ، انه كان يؤمن بالبعث ، الامر الذي يرشدنا الى ان عبد المطلب وصل الى ابعد نقطة في العـلم والمعرفة ، وكثيراً ما كان يلقي على اولاده دروسا قيمة ، ويأمرهم بالعمل بها — منها — مايعود الى مكارم الاخلاق ، والتحذير من مغبة الظلم وسوء منقلبه ، والنهي عن دنيات الامور ، الى آخر ماهنالك (١)

واذاً فخليق بابي طالب — ذلك الذي درج في حجر رياسة والده ، وتادب على يده ، وتخرج من كلية ديوانـــه الحافل بانواع الدروس والتعاليم ، اخلاقية وسياسيةــ ان يكون المثل الاعلى في نشأته من حيث الطموح الى رفيعات المراتب ، والتأهب الى مستوى فوق مستوى قومه ، ويجدر به ان يخلف اباه في جمع مزاياه في حكمته وتوحيده ، في منابذته لخرافات قريش الاعتقادية وغيرها

وليس المجد مكتسب ولـكن على اعراقها تجري الجياد

---

(١) ترى زيادة على ما ذكرناه عن عبد المطلب في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤ ط مصر وفي بلوغ الارب للالوسي ج ١ص ٣٢٣ و٣٢٤ من الطبعة الثانية

مقامه فى قريش وفى انحاء جزيرة العرب

٣

لم يكن مقام ابي طالب فى قريش بأقل من مقام والده فيهم، ولم تكن شخصية ابيه فيهم، على ظهورها باظهر من شخصيته، والذي يلوح لنا من السير والتاريخ ان ابا طالب ضارع اباه فى حياته فى السيادة والكمالات الروحية، ولذا كان شريك والده فى كفالة النبي (ص)، ولما توفى والده انفرد وحده فى كفالته (ص) (١) كما انه انفرد بالزعامة المطلقة على حين انه كان لا مال له (٢) والمعلوم عن ذلك الوقت وغيره إن المادة الوحيدة للزعامة بعد الاستعداد هى المال ليس الا، غير ان ابا طالب بمواهبه واستعداده ومكارم اخلاقه ومقدرته ملك نفوس قريش وحل من قلوبهم محلا عليا. وكان له فيهم المقام الكريم والجاه العظيم فانقادت له الامور واستوى على عرش الحكومة، واقام صرح الرياسة على قاعدة الكفاءة فحسب بدون ان يدعمها بشيء من الفلز الذهبي او القطع المسكوكة ذلك مقام ابي طالب فى قريش

ولا غرابة فى ان يكون له فى جزيرة العرب المقام الرفيع والصيت البعيد ذلك لمقامه فى بلد كرمه الله تعالى، فجعل افئدة من

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٥ ط مصر (٢) شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ٤٦١ ط مصر

الناس تهوى اليه، وحجيج الخلائق يأوى لديه على كل ضامر من كل فج عميق، ولقيامه فى ذلك الحين بما اوجبه على نفسه من ضيافة فقراء الوفود ومساكينهم وابناء السبيل، حيث ينزلهم فى دار رفادته ويروبهم ويروى الوفود كافة من سلسبيل سقايته، ولدى انقضاء ايام الموسم، يصدر الناس اشتاتاً الى الاقطار عن جفان كالجواب وقدور راسيات، ولا شك فى ان الجمع المتفرق فى انحاء الجزيرة عقيب تلك الايادى التى هى طوق الهوادى كان يتلو سور حمده و يرتل آيات الثناء فى الحل والترحال وفى كل كور وبلد

هذا نموذج بعض محامده، وبه وبنحوه يمكنك ان تتصور منزلته و رفعة مقامه فى جزيرة العرب — بذلك كله يعترف المؤرخون، يقول بلوغ الارب ج١ص ٣٢٤ ط ٢ كان ابو طالب حاكم قريش وسيدها ومرجعها فى الملمات، ويقول الحديدى فى شرح النهج ج ٣ص ٤٦١ ط مصر — نحو ذلك وان السقاية كانت له و كذا فى السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ١٧، وفى تاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٢، والسيرة الدحلانية ايضا ج ١ص ١٦، ان الرفادة كانت له بعد ابيه، وكذا اعترف المؤرخون بتقدمه فى جلال النفس وناهيك بذلك ان سن القسامة (١) فى الجاهلية فى دم عمرو

(١) القسامة بالفتح هى الايمان تقسم على اولياء القتيل اذا ادعوا الدم يقال قتل فلان بالقسامة اذا اجتمعت جماعة من اولياء القتيل فادعوا على رجل انه قتل صاحبهم وكان معهم امارة غير البينة فحلفوا خمسين يمينا ان المدعى

ابن علقمة فأثبتها السنة فى الاسلام ، وحرم الخمر على نفسه فيهـا فجاء بذلك القرآن

حياتـــه العائلية

٤

١ — زوجته

هى فاطمة بنت اسد بن هاشم ، تجتمع فى سلسلة النسب مع ابي طالب فى هاشم ولم يذكر التاريخ له من الزوجات سواها

(حليتها) كانت فاطمة بنت اسد من فضليات الهاشميات ، بزغت فى عصرها شمساً فى سماء الكمال تتنقل فى ابراجه

شرف حسب ، فكرم محتد ، فمكارم اخلاق ، فـــذكاء قلب ، فرجاحة حجى فطهارة نفس ، فجمال ذات ، ففضيلة صفـــات، تلك حلية هذه السيدة الجليلة ولذا اختارها سيد قريش ولم يستبدل بهـا سواها مدة حياته

ولنذكر مفتتح حياته السعيدة معها — تقول نسخة الخطبة —

قال ابو طالب . « الحمد لله رب العالمين ، رب العرش العظيم ، والمقام الـكريم ، والمشعر والحطيم الذى اصطفانا اعلاماً وسادة ، وعرفاء

عليه قتل صاحبهم وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون قسامة ايضا فهى مشترك لفظى فى المعنيين ، وقد جاء استحلاف المدعى هنا على خلاف سائر الدعاوى للنصوص فى خصوص المقام ، وللقسامة فصل استوفى الـــكلام فيه فى الفقه فى اثناء كتاب القصاص

خلصا وقادة ، وحجبة بها ليل اظهار من الخنـا والريب ، والاذى والعيب ، واقام لنا المشاعر ، وفضلنا على العشائر ، نخب ابراهيم وصفوته ، وزرع اسماعيل وقد تزوجت فاطمة بنت اسد ، وسقت المهر ، وانفذت الامر فاسألوه واشهدوا ، فقال اسد زوجناك ورضينا بك ،

واولم ابو طالب سبعة ايام متوالية ينحر فيها الجزر ، وفى ذلك يقول امية بن السلط

اغمرنا عرس ابى طالب	وكان عرسا لين الجانب
اقراؤه الضيف بأقطارها	من رجل خف ومن راكب
فنازلوه سبعة احصيت	ايامها للرجل الحاسب

اغفل اهل السير والمؤرخون الكثير من احوال هذه السيدة ولم يذكروا لنا غير اليسير منها ، ونحن اداء لحقها الواجب ، والمامة باطراف الموضوع من جميع الجهات نذكر من احوالها مااستمددناه من بطون دفاتر شتى ، ورشحات محابر عديدة

اسلمت فاطمة بنت اسد بعد عشرة من المسلمين ، فكانت الحادية عشرة ، فهى من السابقات الى الاسلام ، ولما انزل الله سبحانه وتعالى (ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الاية دعا النبى (ص) النساء الى البيعة فكانت هى اول امرأة بايعت رسول الله (ص) ، وبقيت بعد ابى طالب ، فهاجرت الى المدينة جليلة فى المؤمنات مقدرة صالحة عند النبى (ص) ويقبل

فى بيتها ، وقد حضرت بدرا فى قطار حرم النبى (ص) . ثم مرضت فاوصت النبى (ص) فقبل وصيتها . وتوفيت فى السنة الرابعـــة من الهجرة فى المدينة فصلى رسول الله (ص) عليها وتولى دفنهـــا بنفسه ، والبسها قميصه واضطجع فى قبرها ، وتمرغ به وبكى قائلا جزاك الله من ام خيرا لقد كنت خير ام فقـــال له بعض الحسدة يارسول الله مارأيناك صنعت باحد ماصنعت مع هذه المرأة ، فقال انه لم يكن احد بعد ابى طالب ابر بى منها انى انما البستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها فى قبرها ليهون عليها ضغط القبر *

٢ ــ عقبه

اعقب طالباً ، وعقيلا ، وجعفراً ، وعليا (ع) ، وهو اصغرهم سنا ، وكان بينه وبين جعفر عشر سنين ، وهـــذا كان بين جعفر وعقيل وعقيل وطالب ومن الاناث ام هانى ، والكل من السيدة الجليلة فاطمة بنت اسد

٣ ــ كفالته للنبى (ص)

من نعم الله تعالى على هذه العائلة ، ومن منه على هذا البيت بيت

** تستفيد مابين هاتين الرادتين من مجموع كتب عديـــدة وهى ، الاصابة ج ٤ ص ٣٨٠ ، ط ١ فى مصر ولاستيعاب ج ٢ ص ٧٧٤ ط ١ فى حيدر اباد دكن ، وشرح النهج الحديدى ج ١ ص ٥ ط دار الكتب العربية الكبرى فى مصر ، وفصول ابن الصباغ ص ١٥ ، ط سنة ١٣٠٣ فى طهران ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٥٢٦ ط ١٣٠٢ ومقاتل الطالبيين ص ٤ ، ط سنة ١٣٠٧ فى طهران

ابى طالب ان اضاف الى عائلة ابى طالب انسان الهداية ، وصاحب شرف العرب، النبي العربى ذلك لما توفى جده عبد المطلب ، وكان ذلك حوالى سنة ٥٧٨ ميلادية وعمر النبي (ص) اذ ذاك ثمان سنين فانفرد ابو طالب فى كفالة (ص)، وضمه الى كنفه واحله محلا عليا من قلبه، واصغى اليه بوداده ، وقدمه فى سائر الشؤون على كافة اولاده. (١)

وكذا كانت تصنع معه (ص) فاطمة بنت اسد ، تخصه بكل اعتناء، وتفضله بالحباء وتحنو عليه بافضل ما تحنو والدة على ولد ، فنشأ (ص) بين هذه العائلة فى حجرى ابى طالب وبنت اسد، وشب فى ذلك البيت الرفيع العماد الذى سبق بعنايته تعالى ان يخرج منه الهدى والنور للعالم بأسره، فياله من بيت شرف الله تعالى مقامه، واقام دعامه واجل شأنه وفضله على بيوتات العالمين، وما اطيب نشره، وانمى غرسه، منه عبق طيب النبوة فعطر المشرق والمغرب، وفيه بما غرس الوصاية، وبه اكمل الله الدين واتم النعمة

فلك ابا طالب سعادة الابد، فى ابن اخيك نبى العالم وعظيم بنى آدم ولك الغبطة فى اهلك وولدك، ابطال السيف والقلم واقطاب رحى العلم والحكم، فانت بما اوتيت من هذه السعادة جدير بأن يخلد ذكرك ماخلد الدهر ، وما هتف

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢١٣

باسم محمد (ص)، وما تلى قرآنه قانون الابد وتبيان كل شئ.

مهماته وآماله

٥

نذكر من مهماته اهمها ذكرا واجلها منفعة لبني الانسان واعظمها قدرا

كانت مهمته الوحيدة حينما انفرد بكفالة النبي (ص) العناية التامة بخدماته (ص) والقيام بواجبها احسن قيام، على حسب ماتقتضيه عقود عمره (ص) ذلك لما آنس منه الاستعداد الذى امتاز به عن سائر البشر، ولما تفرس به مخائل سيادة العالم

— العقد الاول —

عنى فى تربيته الجسدية جداً، كما يظهر لنا من السير وفى ذلك العقد ظهر من مواهب محمد (ص) مابهر شيوخ الحنكة وادهش فلاسفة العالم ولذا كانت امال ابى طالب تزداد فيه (ص) شيئا فشيئا الامر الذى كان من شأنه ان يستأنف نشاطه فى النهوض بمهمات النبي (ص) والقيام بخدماته

— العقد الثانى —

لما بلغ النبي (ص) الثانية عشر من سنى عمره، سار به ابو طالب الى الشام (١) ليوقفه على احوال الامم المختلفة، والاقطار

(١) طبقات بن سعد، ج ١ ص ٧٦

الثانية المغايرة لاقليم قطره ، تلك اصول التربية والتعليم ، والنبي (ص) وان كان فى غنية عن هذا بما اتاه الله من فضله ، غير ان اباطالب اراد القيام بواجب التربية

ان فى سفر كمثل هذا السفر لمثل محمد (ص) العلم الكثير والفوائد الجمة ، معرفة احوال قرى ومدن ، ومواقع جغرافية ، ومختلفات سير امم وشعوب ، واطلاع على عادات ومعتقدات ، ومحور سياسة ملوك ، وميول رعايا ، واستكشاف آثار امم ماضية وقرون خالية ، وهذا ونحوه مدعاة للاستبصار والنظر والامعان بالفكر .

فى ذلك السفر الميمون ، فتحت فى وجه ابى طالب الامال الجسام ، ذلك بما سمعه من الرهبان امثال بحيرا ، عما سيكون لابن اخيه من الشأن والعظمة فى الارض والسماء ، وبما شاهده بأم عينه مما حصل لابن اخيه (ص) من خوارق العادات نظير تظليل الغمام له وبهذا تحقق ما كان يسمعه قبل ذلك من ابيه عبد المطلب فى شأنه (ص)

ولما بلغ النبي (ص) الرابعة عشر احضره ابوطالب معه فى حرب فجار البراض (١) وهى حرب هاجت بين كنانة وبين قيس ، فعاونت قريش كنانه ، ذلك ليريه كيف تكون منازلة الاقران ومقارعة الفرسان .

(١) السيرة الحلبية ، ج ١ ص ١٢٧ طبعة مصر

—العقد الثالث—

لما بلغ النبي (ص) الخامسة و العشرين كان هم ابي طالب الوحيد جعله مستقلا فى الادارة وطفق يرتاى ويفكر فى ايجاد ثروة له (ص) تصلح لادارة شؤونه، ليكون مكفو المؤونة فى المعاش فيتفرغ (ص) للسعي وراء ماكان يتوسمه به ابو طالب من سيادة العالم بتقلده للوسام الالهي وضروري ان الثروة اعظم معين فى النوائب و عند ملاقات الشدائد والاهوال

بعد النظر العميق رأى ان احسن شئ لما يحاوله واقربه انتاجا ان يوجد صلة تجارية و مشاركة فى الارباح بين محمد (ص) و بين خديجة بنت خويلد سيدة القرشيات فى عصرها حسباً ونسباً وهديا وكمالا ومالا وجمالا، ذات الثراء والخول والاماء، والتجارة الواسعة فى ذلك المحيط، وكان نظر ابى طالب فى ذلك وجل قصده انتقال ابن اخيه (ص) مع خديجة من الصلة التجارية الى الصلات الروحية فتكون خديجة وما ملكت يدها فى قبضته (ص)، لما يعلمه يقينا من ان السيدة الجليلة، سوف يشغل فراغ قلبها حب محمد (ص) بما تراه منه مضافا الى ماتسمعه عنه فى المعاشرة و المعاملة من كمال ذاته، ترى يمن طلعه وغرة جبين، وصدق حديث، وسجاحة اخلاق، وسماحة نفس، وعز عشيرة وطيب سريرة، وحسن سمعة، وجميل احدوثة، ووفور حجى وقدسي ذات، وتفرد صفات

تلك نظرية ابى طالب، فلم يرد ان يكون مثل ابن اخيه (ص)

خاطبا ، بل اراد ان يكون مخطوبا ، ولذا اعد الاسباب لتزويجه وثرائه فى آن واحد ، واتي الامور من ابوابها فى مهماتـه له (ص) شأن الوالد الشفيق الساهر على مصلحة ولده

ولم يذكر ابو طالب لابن اخمه الصادق الامين مامر بخاطره وما فكر فيه وما دبر ، وانما جائه بطريق آخر هو عين الواقع على ماتقتضيه الحكمة والمتانة

يقول فى السيرة الحلبية — ج ١ ص ١٣٢ — ان اباطالب قال للنبي (ص) يابن اخى انا رجل لامال لى وقد اشتد الزمان فى القحط، والحت علينا سنون منكرة — شديدة الجدب — وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه ابل قومك قد حضر وقت خروجها الى الشام للتجارة ، وهذه خديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى ابلها فيتجرون لها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لذلك لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لاكره ان تأتى الشام واخاف عليك من يهود ، ولكن لانجد لك من ذلك بدا ، فقال له رسول الله (ص) ، فلعلها ترسل الى فى ذلك ، فقال ابو طالب اني اخاف ان تولى هذا العمل غيرك فتطلب امرآ مدبرآ فافترقا فبلغ خديجة خبر مادار بينهما فقالت. ماعلمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه (ص) ، فقالت انى دعانى الى البعثه اليك مابلغنى من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف

ما اعطى رجالا من قومك ، ففعل رسول الله (ص) ، ولقى عمه ابا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك ، فخرج (ص) بالتجارة الى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه ميسرة ، ولما بلغ (ص) بصرى باع السلعة التى خرج بها ، فربح ومن معه ربحا ما ربح التجرة قط مثله بيمن طلعته (ص) . وشاهد ميسرة اموراً حصلت للنبي (ص) هى من خوارق العادات لايكون مثلها الا لمن خصه الله بالعناية التامة ، وفوق ذلك سمع من الرهبان فى طريقه التبشير بنبوته (ص) ، فحدث ميسرة خديجة بذلك كله وكانت خديجة رأت بأم عينها بعض ماحدث به ميسرة ، الامر الذى سجل صدق حديث ميسرة ، وبهذا تم لابى طالب مادبر ، حيث وقعت هذه السيدة الجليلة بهوى النبى (ص) ، وكذا اضحت حائرة بين عاملين قويين ، دافع ومانع ، يدفعها الشوق المبرح لعرض نفسها على صاحب الفضيلة ، ويمنعها الحياء من ان تخطب لنفسها حتى اذا سأمت المقام والحالة هذه ورأت ان مثل بن عبد الله (ص) يخطب ولا يتحاشى من خطبته بالرغم عن معاكسة العادات والمراسم ، ومن بخاطرها ان فى الهيبة الخيبة وفى الحياء الحرمان ، ولذا افضت بسرها لاحدى صديقاتها وكانت تثق بها وصديقتها هذه نفيسة بنت منية ، قالت لها يانفيسة هل لك ان تستعلمى لى خفية حال محمد (ص) فلعله يرغب فى مثلى ، فقالت نفيسة حباً وكرامة وتحملت نفيسة هذه الرسالة ونصحت لجاءته (ص) وقالت (١) مايمنعك

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٧

ان تتزوج قال (ص) ما بيدى ما اتزوج به فقالت فان كفيتك ذلك ودعوتك الى المال والجمال والشرف والكفاية الا تحب ، قال فمن هى قالت خديجة قال وكيف لى بذلك قالت بلى وانا افعل فرجعت نفيسة ميمونة النقيبة فى هذه الرسالة تحمل شرف الابد لخديجة فارسلت خديجة تعين له (ص) الساعة التى يأتى فيها للخطبة وارسلت لذوى رحمها فاحضرتهم ، وجاء رسول الله مع جمع من اعمامه وفيهم سيدهم ابو طالب ، وهو الذى زوجه

فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل وضئضئ معد ، وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعله لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا حكام الناس ، ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوازن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وان كان فى المال قل ، فان المال ظل زائل ، وامر حائل ، وعارية مسترجعة ، وله والله بعد هذا نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنا عشر اوقية (١) ونشا

فقال ورقة بن نوفل وانتم والله اهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ، ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ، رغبتنا فى الاتصال

(١) الاوقية اربعون درهما والنشا نصف الاوقية اى عشرون درهما وكان ذلك المسمى من الذهب فكون جملة الصداق خمس مائة درهما شرعيا وذلك يساوى ١٢٥ ليرة عثمانية تقريبا فى عصرنا هذا

بحملكم ، شرفكم ، فاشهدوا على معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر — فقال ابو طالب احببت ان يشركك عمها فقال عمها عمر بن اسد اشهدوا على معاشر قريش انى انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فاولم رسول الله (ص) ونحر الابل واطعم الناس ، ففرح ابو طالب الفرح الشديد وقال (١) الحمد لله الذى اذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم ، وكذا بقى ابو طالب بقية العقد الثالث وحتى اواخر العقد الرابع من سنى عمر النبى (ص) مغتبطا به (ص) وبما ساقه الله اليه من الخير الكثير ، بزواج سيدة القرشيات — ومن باب

واذا استطال الشئ قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

لم نتعرض لشئ من احوال هذه السيدة الجليلة التى لها الايادى البيض على الاسلام على ان فى ذلك خروجا عن الموضوع ايضا

كان ابو طالب يزداد سرورا كلما ازدادت منزلة محمد (ص) فى نفوس قريش ، غير انه بفارغ الصبر كان ينتظر يوما يعطى به محمد (ص) الوسام الالهى ، يوما يهبط عليه الناموس الاكبر من لدن جبار السموات والارض ويعقد على ذلك اليوم وما بعده الامال الجسام ليقوم بواجب خدمته ، ويفوز بالسهم الاوفر من نصرته ، ولما كانت السنة الاخيرة من — العقد الرابع — تلك سنة اربعين من سنى عمره (ص) اكرمه الله بالرسالة فى حراء بواسطة

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٩

السفير جبريل حيث ناداه يامحمد انا جبريل وانت رسول الله لهذه الامة ثم تتابع عليه الوحي .

— العقد الخامس —

عندما امر الله محمداً (ص) باظهار دعوته ، وذلك في السنة الرابعة من البعثة قال (ص) لعمه العباس — كما في غاية السؤول عن ابراهيم الحنبلي باسانيد عديدة — ان الله تعالى امرني باظهار امري فما عندك فقال له العباس يابن اخي تعلم ان قريشاً اشد حسداً لوالدك وان كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداهية العظمى ورمينا عن قوس واحد لكن قرب الى عمك ابي طالب فانه اكبر اعمامك ان لاينصرك لايخذلك ولا يسلمك ، فاتياه فلما رآهما ابو طالب قال ماجاء بكما في هذا الوقت ، فاخبره العباس بالحال فنظر اليه ابو طالب وقال يا ابن اخي انك الرفيع كعبا ، والمنيع حزبا ، والاعلا ابا والله لايسلقك لسان الا سلقته السن حداد واحتدمته سيوف حداد والله لتذل لك العرب ، ولقد كان ابي يقرأ الكتب جميعا ، ولقد قال ان من صلبي لنبيا لوددت اني ادركت ذلك فامنت به ، فمن ادركه من ولدي فليؤمن به الخبر ،

وقد ذكر عند تفسير وانذر عشيرتك الاقربين ، ان النبي (ص) لما قام ليدعو اسرته عارضه ابو لهب كما هو مذكور في السير جمعاء فقال ابو طالب اسكت يااعور ماانت وهذا ، ثم قال للنبي (ص) قم ياسيدي وتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فانك الصادق الصديق .

حينما اظهر الدعوة (ص) وسفه احلام قريش فى عاداتها ومعتقداتها رمته قريش عن قوس واحد واخذوا يجتمعون ويتفرقون للنظر والرأى فى اقناعه (ص) بالرجوع عن سبيل الهدى، وعملوا لذلك اعمالا ذكرها التاريخ — مهما — سعيهم الى دار ابى طالب مرارا فى طلب اسكاته (ص) عن تعقيب مانطق به، وكان ابو طالب اذ ذاك يردهم حسبما تقتضيه الحكمة من شدة ولين، وبذلك علموا ان ابا طالب سيمنع محمداً (ص) منهم بكل قواه مادام فيه عرق ينبض، وهالهم مارأوه من دهائه فى ترويج دعوته (ص) من حيث يخفى بما اوتى من المواهب وما مر عليه من التجارب فى معترك هذه الحياة

تحققوا ذلك كله بما شاهدوه منه فى مختلفات الجلسات وسمعوه عنه فى شتى الاناات فتارة يأمر ابنه جعفر بالصلواة حيث رأى محمداً (ص) يصلى والى جانبه على (ع) فيقول لجعفر صل جناح ابن عمك — كما اخرجه الحافظ بن حجر فى الاصابة (١) واخرى يقول لاخيه حمزة حينما اسلم

فصبراً ابا يعلى على دين احمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وثالثة يخاطب محمداً (ص) بعد مجئ القوم بصدد الاستعانة به على اسكاته (ص) عن أمر الدعوة فيقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا

(١) ج ٧ ص ١١٢ ط مصر سنة ١٣٢٥

الى غير ذلك مما يطول تعداده ، لذلك كله اشتد الامر واحتدم وتوترت العلائق بين ابي طالب والقرشيين العتات ، فاخذوا يؤذونه بايذاء محمد (ص) بكل طريق وحين ظهر الاسلام في القبائل كبر ذلك على قريش فتضاعف اذاهم ، واشتوروا فيما بينهم على قتل محمد (ص) علانية ولذا جمع ابو طالب بنى هاشم وبنى المطلب وامرهم ان يدخلوا برسول الله (ص) الشعب ليكون بذلك امنع من جبهة الاسد ، وحين رأت قريش ذلك اجمع رأيهم على ان يكتبوا عهـــدا بتوقيع الجميع عـــلى ان لا يجالسوا بنى هاشم والمطلب وان يضيقوا عليهم بمنعهم من حضور الاسواق وان لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحا ابداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله (ص) فكتبوا هذه المعاهدة ووقع القوم عليها وعلقوها في الكعبة ، فمكث بنوا هاشم في حصار الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين ، فاصابتهم ضائقة في العيش شديدة وقد ابلى ابو طالب (ع) وخديجـــة (ع) البلاء الحسن في تهيئة المؤن والاقوات الضرورية ، مدة الحصار كلها ، ولما أراد الله ان يكشف الغم عن رسول الله (ص) وعن اسرته المرابطة المجاهدة بين يديه حيث لا ناصر سواهم ولا معـــين سلط على معاهدة قريش الارضة فاكلتهـا ، واوحى الله الى رسوله بالامر فاخبر عمـه ابا طالب ، فاقبل ابو طالب عـلى قريش وهم في انديتهم واخبرهم بما صنع الله في صحيفتهم ، وان محمداً (ص) اخبره بذلك ثم قال ان كان الحديث كما يقول ابن اخى فافيقوا وان لم

ترجعوا فوالله لانسلمه حتى نموت عن آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقالوا قد رضينا بما تقول ثم فتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبر به الصادق الامين . وعندمـــا رأت قريش صدق ما جاء به ابو طالب قالوا هذا سحر ابن اخيك ، وزادهم ذلك بغياً وعتواً وعدواناً ، فقال لهم ابو طالب علام نحبس ونحصر وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة والاساءة ، ثم دخل بين استار الكعبة ودخل معه بنو هاشم قائلين اللهم انصرنا عـــلى من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منـــا ، ثم انصرفوا الى الشعب

قال ابن الاثير في الكامل ـــ ج ٢ ص ٣٦ ـــ قال ابو طالب فى امر الصحيفة واكل الارضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم ابياتـا منهـــا :

وقد كان فى امر الصحيفه عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محى الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب
فاصبح ما قالوا من الامر باطلا ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وانتدب مشى في نقض الصحيفة ـــ المعاهدة ـــ نفر من قريش وهم هشام بن عمرو بن الحرث ، وزهير بن امية بن عمة النبى (ص) عاتكة ، المطعم بن عدى وابو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الاسود ، وتم لهم ذلك بالرغم عن معاكس ابي جهل واضرابـــه الذين اصروا على استمرار قريش فى المقاطعة لبنى هاشم والمطلب

وارتفعت الشدة عن النبي (ص) وذوى رحمه فعادوا الى مـــاكانوا عليه قبل الحصار كما هو مذكور على التفصيل فى السير والتاريخ فراجـــع .

ان من مواقف ابى طالب الرهيبـــة فى ارهاب قريش وكبح جماحهم وقمع شوكتهم وارجاعهم بالقواسر الفعالة والقوة عما كان يختلج فى افئدتهم من آن الى آخر من اغتيال النبى (ص) ، مانقله عبد الرحمن بن محمد بن الجوزى المحدث البغدادى عن الواقدى(١) قال قال الواقدى كان ابو طالب لايغيب صباح النبى (ص) ومساءه ، وكان يحرسه من اعدائه ويخاف ان يغتالوه فلما كان ذات يوم فقده فلم يره وجاء المساء فلم يره واصبح فطلبه فى مضانه فلم يجده فجمع ولده وعبيده ومن يلزمه فى نفسه فقال ان محمداً فقد فى امسنا ويومنا هذا ولا اظن الا ان قريشا قد اغتالته وكادته ، وقد طلبته فلم اجده وقد بقى هذا الوجه ماجئته وبعيد ان يكون فيه ، ثم اعطـــاهم السكاكين وفيهم من عبيده عشرون رجـلا ثم قال لهم ليمض كل رجل مـــنكم وليجلس الى جنب سيد من سادات قريش ، فمضوا وشحذوا سكاكينهم ومضى ابو طالب فى الوجه الذى اراده ومعـــه رهط من قومه وهو يقول يالها من عظيمة ان لم نواف محمداً فوجده

(١) وقد ذكر هـذا الموقف المشهور بتعبير اخصر مما تلوه هنا كاتب الواقـدى محمد بن سعد فى الجزء الاول من طبقاته الكبيرة ص ١٣٥ ط (١) فى ليدن

فى اسفل مكة قائما يصلى الى جانب صخرة فوقع عليه ابو طالب يقبله واخذ بيده ، وقال يا بن اخى سر معى فاخذ بيده وجاء الى المسجد وقريش فى ناديهم جلوس عند الكعبة فلما رأوه قد جاء ويده فى يد النبي (ص) ، قالوا هذا ابو طالب قد جاءكم بمحمد وان له لشأنا ، فلما وقف عليهم والغضب يعرف فى وجهه قال لغلمانه ابرزوا مابأيديكم فابرز كل واحد منهم مافى يده فلما رأوا السكاكين قالوا ماهذا يا ابا طالب قال هو ماترونه انى طلبت محمداً (ص) فما رأيته منذ يومين فخفت ان تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فامرت هؤلاء ان يجلسوا حيث ترون وقلت لهم ان جئت وما محمد معى فليضرب كل واحد منكم صاحبه الذى الى جنبه ولو كان هاشميا فقالوا وهل كنت فاعلا ، قال اى ورب الكعبة ، فقال له المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وكان من احلافه لقد كدت ان تأتى على قومك قال هو ذاك فاتقت قريش اغتياله (ص) منذ ذلك اليوم ورجعت على ابى طالب بالاستعطاف وهو لايحفل بهم ومضى وهو يقول :

اذهب بنى فما عليك مخافة وابشر بذاك وقر منك عيونا

ومن ذلك ماعن الاصبغ بن نباتة عن على (ع) قال قال على (ع) مر رسول الله (ص) بنفر من قريش وقد نحروا جزورا فلم يسلم عليهم فلما انتهى الى دار الندوة قالوا يمر علينا يتيم ابى طالب ولم يسلم فايكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه ، فقال عبد الله بن الزبعرى

انا افعل فاخذ من فرث الجزور ودمه ، اذ بهى به الى النبى (ص) وهو ساجد فالقاه عليه فلأ به ثيابه فانصرف النبى (ص) حتى اتى عمه ابا طالب فقال ياعم من انا فقال ولم يابن اخى فقص عليه القصة ، فقال واين تركتهم ، فقال فى الابطح فنادى فى قومه يا آل عبد المطلب ، يا آل هاشم ، يا آل عبد مناف فاقبلوا عليه من كل مكان ملبين ، فقال خذوا سلاحكم واخذ سيفه ، ثم توجه نحو القوم ، فلما رأوه وقد سل سيفه جعلوا ينهضون ، فقال والله لئن قام احد جللته بسيفى ، ثم قال يامحمد ايهم آذاك فاشار بيده (ص) الى ابن الزبعرى فدعا به ابو طالب فوجأ انفه حتى ادماها ، ثم امر حمزة بأن يأتيه بفرث ودم فأمرهما على رؤوس الملأ ، ثم قال يابن اخى ارضيت قد سألت من انت ، انت محمد بن عبد الله وذكر النسب ، ثم قال انت والله اشرفهم حسبا وارفعهم منصبا ، يامعشر قريش من شاء منكم ان يتحرك فليفعل انا الذى تعرفونى ، وانشأ يقول ويومى بيده الى النبى (ص)

انت النبي محمد	قرم اغر مسود (١)
لمسودين اكارم	طابوا وطاب المولد
نعم الارومة اصلها	عمرو الخضم الاوحد
هشم الربيكة فى جفانه	وعيش مكة انكد
فجرت بذلك سنة	فيها الخبيزة تثرد

(١) ذكر هذه الابيات ابن ابى الحديد فى شرح النهج ج ٣ ص ٣١٥

ولنا الـ قاية للا جج — بها يمـــات العنجـد
والمأزمان و ما حوت — عـرفاتهـــا والمسجد
انى تضـام ولم امت — وانا الشجاع العربـــد
و بطاح مكة لايرى — فيهـــا بجيع اســـود
وبنو ابيـــك كأنهم — اسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقا — فى القول لا تزيـــد
مازلت تنطق بالصواب — وأنت طفـــل امرد

ولقـد سطر التاريخ لابي طالب ذبه دفاعـه عن مستضعفى المسلمين وذكر غضبه الشديد عند ايذاء قريش لهم ، وروى اشعاره فى ذلك

يقول محمد بن اسحق فى كتاب المغازى ان اباسلمة بن عبد الاسد المخزومى لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الاسلام هرب منهم فاستجار بابى طالب وقد كانت والدة ابي طالب مخزومية فاجاره ، فمشى اليه رجال من بنى مخزوم وقالوا ياابا طالب هبك منعت منا ابن اخيك محمدا فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا ، قال انه استجار بى وهو ابن اختى وان انا لم امنع ابن اختى لم امنع ابن اخى، فاكثروا النزاع وارتفع الصوت واللغط ثم هموا الفتنة فانصرفوا

و يقول بعض التواريخ ان قريشا لما رأت ضعفهـــا عن النبى (ص) لنصرة ابى طالب له حذ مذب كل قوم من عندهم من المؤمنين ويحثونهم على الرجوع عن دينهم ، وابو طالب يناجز قريشـــا

على ذلك

وهاك ابياتا قالها ابو طالب وقد غضب لعثمان بن مضعون لما ظلمه المشركون

أمن تذكر دهر غير مأمون اصبحت مكتئبا تبكى لمحزون (١)
أمن تذكر اقوام ذوى سفه يغشون بالظلم من يدعى الى الدين
لاينتهون عن الفحشاء ما امروا والغدر فيهم سبيل غير مأمون
الا يرون اذل الله جمعهم انا غضبنا لعثمان بن مضعون
اذ يلطمون ولايخشون مقلته طعنا دراكا وضربا غير موهون
فسوف نجزيهم ان لم نمت عجلا كيلا بكيل جزاء غير مغبون
او ينتهون عن الامر الذى وقفوا فيه ويرضون منا بعد بالدون
ونمنع الظيم من يبغى مضامتنا بكل مطرد فى الكف مسنون
ومرهفات كأن الملح خالطها يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجال لاحلوم لها بعد الصعوبة بالاسماح واللين
او يؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبى كموسى او كذى النون
ياتى بامر جلى غير ذى عوج كما تبين فى آيات ياسين

اسلامه ، السر فى كتمه

منزلته عند الله تعالى

٦

تعلم اهل القبلة كافة ، ان اهل البيت (ع) مجمعون على اسلام

(١) ذكر الحديدى جمله منها و شرح النهج ج ٣ ص ٣١٣

ابي طالب ، و اجماع اهل البيت حجة بالغة وآية محكمــة فانهم معصومون منزهون عن كل ريب بنص القرآن المجيد الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)

على ان فى شعر ابى طالب الدلالة الصريحة على اسلامه وقد وقفت على جملة منه ومن نثره وستقف عــلى جمل اخرى تدعم ماقلناه ، غير ان ابا طالب تستر فى اسلامـــه عن قريش لمصلحة الاسلام وللقيام بخدمات سيــــد الانام ، ولو ان ابا طالب جاهر بمعتقده امام عتات قريش لهانت عليهم اهانته ، ولخفروا ذمامه فى جميع ادواره مع النبي (ص) ، ولرموه عن قوس واحـــد كما رموا محمد (ص) وقد كانت له المنزلة الساميــة فى نفوسهم قبل اظهـار الدعوة ، وهذا التستر من الضروريات الاولية لمثل ابى طالب وهو الذى حنكه الدهر وعلمته التجارب وراضته سياسة العرب وافهمته من اين تؤكل الـكتف ، هذا هو السر فى كتمه الاسلام وتظاهره بحياطة محمد (ص) لصرف كونه ابن اخيه ليس الا ، وربمـا ظهرت لهم عقيدته وتبينت على اسلات لسانه فى النظم والنثر، بنوع من الاجمال فى موارد ليبقى له فى توجيه كلامه عنـد قريش مجـال ، ولم يكن هذا التكتم والابداء الا لما توحيه اليه فطنته وتقتضيه حكمته فى متفرقات الاحوال بالنظر لمصلحة النبى (ص)

ان لابى طالب المكان الرفيع والجاه العظيم ، ومقعد صدق عند مليك

مقتدر ولم ينل ذلك الا بكفاية واستحقاق ، اهل لذلك . ه اهل ومحل ، لخدماته لقوة ايمانه واسلامه . قال امير المؤمنين (ع) بقول (ان ابي لو شفع في كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله تعالى) ، يقول الصادق جعفر (ع) (ان ابا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) واليك ما عن الباقرين الصادقين (ع) (لو وضع ايمان ابي طالب في كفة وايمان الخلق في الكفة الاخرى لرجح ايمانه) كل ذلك بطرق صحاح معتبرة ، واذن فاسلام ابي طالب على خلاف ما يظنه ذوو الاغراض والتعصب الممقوت ، او الاغبياء المقلدة لمن سلف ممن استخدمتهم السياسة الاموية واستهوا هم زرجها ردحا من الدهر ، وللكلام صلة قد ل تزيف شبه المشككة في اسلامه ، على ما سيمر عليك قريباً انشاء الله تعالى

مكانته الادبيـــــة

٧

١ ــ صناعتا النظم ، والنثر ــ

قد وقفت على شيء من نظمه ونثره ، سوقفك على جمل اخرى من محالها ــ انشاء الله تعالى ــ مما تفق عليه مؤرخو الاسلام من الخاصة والعامة ، فثمة ترى ان له اليد الطولى المدح المعلى في تينك الصناعتين ، تري ع جديد معنى . ودرية نظم ، ورصانة شعر ، فحسن سبك ، وجودة حبك ، ولطف اسلوب .

٢ — اخلاقه

يمكننا ان نفهم انه كان على جانب عظيم من الاخلاق من مكانته العليا فى قريش واجتماعهم على سيادته، وسيطرته على اجسامهم وافئدتهم، وهـذا لايكون الا بمكارم الاخلاق. (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وفوق ذلك قدضرب لنا ابو طالب المثل الاعلى فى مكارم الاخلاق، ذلك بمتابعته ومبايعته على الموت لمن نشأ فى بيته بمنزلة احد ولده محمد(ص)، ولم تأخذه العزة فى النزول على حكم ابن اخيه فى مطاردته فى الليل والنهار فى سبيل حياطته والمحافظة عليه، فى امتثال اوامره ونواهيـه، حتى لفظ نفسه فى النفس الاخير من حياته هذا وهو شيخ الابطح وسيد قريش

اذن فلنقل بحق ان النبي (ص) لم ير اكرم مـن ابى طالب اخلاقا ولا اطلق وجهاً، ولا اطيب عنصرا، ولا احلى معاشرة، ولا احمى جوارا، ولا احفظ ذماراً، ولا اسخى كفا، ولا احمى انفاما ولا اعز جانباً، ولا اصدق لهجة، فسبحان من خلقه مثلا فى المكارم، وسواه معدنا فى المراحم.

٣ — شعره

نحن اذا صرفنا النظر عما اختلف فى نسبته اليه من المنظوم ففيما هو المتفق عليه كفاية، فمن ذلك قوله

خليلى ما اذنى لاول عاذل ... بصغوا فى حق ولا عند باطل (١)
خليلى ان الرأى ليس بشركة ... ولا نهنه عند الامور البلابل
ولما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا اظنه ... يعضون غيضا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول
واحضرت عند البيت رهطى واخوتى ... وامسكت من اثوابه بالوصائل
قياماً معا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضى خلفه كل نافل
اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسؤ او ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

---

(١) هذه الابيات من قصيدة طويلة تربو على المائة بيت تجدها مذكورة مع شرحها فى كتاب لب لباب لسان العرب ، وذكرها ايضا عبد الملك بن هشام فى السيرة ج ١ ص ١٦٧ ط ٢ فى مصر ونقلها ناسخ التواريخ ،واورد ابياتا منها الالوسى فى بلوغ الارب ج ١ ص ٣٥٩ ط اولى ، وتجد عدة ابيات منها فى شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ٣١٥ و ٣١٦ ط مصر ، واتى على ابيات منها العلامة الدحلانى فى اسناه ص ١١ . وقال وفى القصيدة ابيات كثيرة تدل على ايمانه وتصديقه ثم قال قال بن كثير هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه وهى افحل من المعلقات السبع وابلغ فى تأدية المعنى

ونصره حتى نصرع دونـــه ونذهل عن ابنائنـــا والحلائل
وحتى نرى ذا الردع يركب ردعه من الطعن فعل الانكب المتحامل
وينهض قوم بالحديد اليكم نهوض الروايا من طريق جلاجل
وانا و بيت الله من جد جدنـا لتلتبس اسيافنـا بالاماثـــل
بكل فتى مثل الشهاب سميدع اخى ثقة عنـــد الحفيظة باسل
وما ترك قوم لا اباك سيدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمـــة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمـــة وفواضل
وميزان صدق لايخيس شعيرة ووزان صدق وزنه غير غائل
الم تعلموا ان ابننـــا لامكذب لدينا ولا نعـــأ بقول الاباطل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد واحببته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسى دونه فحميتـــه ودافعت عنه بالذرى والكواهل
فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلهـا وشيناً لما عادى وزين المحافل
وايده رب العبـــاد بنصره واظهر دينا حقه غير بـاطل

ومنه قوله فى امر الصحيفة التى كتبتها قريش عهدا على مقاطعة بنى هاشم

الا ابلغا عنى على ذات بيننا لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب(١)
الم تعلموا انا وجدنا محمـــدا نبيا كموسى خط فى اول الكتب(٢)

---

(١) ترى هذه الابيات فى سيرة بن هشام ج ١ ص ٢١٥ ط ٢ و تراها ايضا فى شرح النهج الحديدى ج ٢ ص ٢١٢

وان عليه فى العباد محبة ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

وان الذى رقشتم فى كتابكم يكون لكم يوما كراغية السقب

افيقوا افيقوا قبل ان يحفر الثرى و يصبح من لم يجن ذنبا كذى ذنب

ولا تتبعوا امر الغواة وتقطعوا اواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما امر على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم احمدا (٣) لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ولما تبن منا ومنكم سوالف وايد اترت (٤) بالقساسية الشهب

بمعترك ضنك ترى قصد القنا به والضباع العرج تعكف كالشرب

كأن مجال الخيل فى حجراته وغمغمة الابطال معركة الحرب

اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكى ماقد ينوب من النكب

ولكننا اهل الحفائظ والنهى اذا طار ارواح الكماة من الرعب

---

(٢) قال العلامة الدحلانى فى اسناه ص ١٠ عندما ذكر هذا البيت ما هذا لفظه — هذا البيت من قصيدة لابى طالب قالها فى زمن محاصرة قريش لهم فى الشعب وهى قصيدة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى (ص) والتصديق بنبوته وشدة حمايته له و الذب عنه

(٣) فى القاموس العزاء السنة الشديدة

(٤) القساسية كما فى القاموس سيوف منسوبة الى معدن بارمينية يقال له القساس كغراب

وقـــوله

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا (١)
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنى وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ولقد علمت بأن دين محمــد من خير اديان البرية دينــــا

وقـــوله

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها (٢)
وان حصلت انساب عبد منافها ففى هاشم اشرافها وقديمـــها
وان فخرت يوما فان محمـــدا هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لانقر ظلامـــة اذا ماثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهـــة ونضرب عن احجارها من يرومها
بنا انتعش العود والذواء وانما با كنافنا تندى تنمى ارومهـــا

---

(١) ذكر هذه الابيات الدحلانى فى اسناه ص ١ ، واوردها الثعلبى فى تفسيره وقال قد اتفق على صحه نقل هذه الابيات عن ابي طالب مقاتل وعبد الله بن عباس والقاسم بن مخيمرة وعطا بن دينار ، وادرج ابو الفداء المؤيد بيتا واحدا منها فى تاريخه ج ١ ص ١٢٠ حيث قال ومن شعر ابي طالب مما يدل على انه كان مصدقا الرسول الله قوله ودعوتنى وعلمت انك صادق — البيت — وتراها فى السيرة الحلبيـــة ج ١ ص ٢٨٢ ·

وقوله يحرض ابا لهب على نصره النبي (ص)

وان مرأ ابو عتبــــه عمه ... لفى معزل من ان يسام المظالما (٢)

ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة ... تسب بها اما هبطت المواسمـا

اقول له واين منه نصيحتي ... اباعتبة ثبت سوادك قائمــا

وول سبيل العجز غيرك منهم ... فانك لم تخلق على العجز لازمـا

وحارب فان الحرب نصف ولن ترى ... اخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما

كذبتم وبيت الله نبزى محمـداً ... ولما تروا يوما من الشعب قائما

وقــــوله

ان عليا وجعفراً ثقــــتى ... عند ملم الزمان والنوب (٤)

لا تخذلا وانصرا بن عمكما ... اخى لامى من بينهــــم وابى

والله لا اخذل النــبي ولا ... يخذله من بنى ذو حسب

وقــــوله

فلا تسفهوا احلامكم في محمد ... ولا تتبعوا امر الغواة الاشائم (٥)

تمنيتموا ان تقتلوه وانمــا ... امانيكم هذى كاحــــلام نائم

(٢) اورده ابن هشام في سيرته ج ١ ص ١٦٠ ط ٢ وذكرها الدحلاني في اسناه ص ١١ وقال هذه الابيات من غرر مدائح ابى طالب الداله على تصديقه بالنبوة ربما جابه (ص)

(٢) في السيرة الهشامية ج ١ ص ٢٢٦ . وفى شرح النهج الحديدى ج ٢ ص ٧٠٣ .

(٤) شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ٣١٤ (٥) في الجلد نفسه ص ٣١٢

وانكم والله لاتقتلونـــه ولما ترو قطف اللحى والجماجم
زعمتم بانا مسلمون محمدا ولما نقاذف دونـــه ونزاحم
من القوم مفضال ابى على العدى تمكن فى الفرعين من آل هاشم
امين حبيب فى العباد مسوم بخاتم رب قاهـــر فى الخواتم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة وما جاهل فى قومه مثـــل عالم
نبي اتاه الوحي من عند ربه ومن قال لايقرع بهـــا سن نادم

وقـــوله

وقالوا لاحمد انت امرؤ خلوف الحديث ضعيف السبب (٦)
وان كان احمد قد جاءهم بصدق ولم يأتهم بالكذب
فانا ومن حج من راكب وكعبـــة مكة ذات الحجب
تنالون احمد او تصطلوا ضباة الرماح وحد القضب
وتعترفوا بين ابياتكم صدور العوالى وخيلا شزب
عليها صناديد من هـاشم هم الانجبون فى المنتجب

٤ — نثره

مر عليك شيء منه ونذكر لك هنا وصيته التى ذكرها جمع من المؤرخين كالالوسى فى بلوغ الارب (٧) والديار بكرى فى تاريخ الخميس (٨) والدحلانى فى اسناده(٩) والحلبى فى سيرته (١٠)

---

(٦) فيه ايضا ص ٣٠٩

(٧) ج ١ ص ٣٢٧ و ٣٢٨ ط الثانية (٨) ج١ص ٣٣٩ ط اولى

(٩) ص٥ (١) ج١ص٣٥٢ ط مصر

تقول نسخة بلوغ الارب عن هشام بن محمد ابن السائب الكلبى انه لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال ، يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع الواسع الباع ، واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً الا احرزتموه ولا شرفاً الا ادركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب ، وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنيه — يعنى الكعبة — فان فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، صلوا ارحامكم فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وزيادة فى العدد ، اتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، اجيبوا الداعى ، واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام ، وانى اوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين فى قريش ، والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان ، وانكره اللسان مخافة الشنآن ، وايم الله كأنى انظر الى صعاليك العرب واهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها اذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها ارباباً واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها واصفت

له بلادها ، واعطته قيادها ، يامعشر قريش كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لايسلك احد سبيله الارشد ، ولا يأخذ احد بهديه الاسعد ، ولو كان لنفسي مدة ، وفي اجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي — هذا ماجاء في بلوغ الارب وزاد في روضة الواعظين قوله — غير اني اشهد بشهادتها واعظم مقالته

تاريخ وفاته

٨

لايمكننا البت بضرس قاطع في تعيين السنة التي توفي فيها لاختلاف المؤرخين في ذلك تبعا لاختلاف الروايات ، لكن يمكننا ان نرجح انها كانت في السنة العاشرة من البعثة نظر الى ترجيح الاخبار التي حكت وفاته في السنة العاشرة ولذا ذهب الاكثرون الى ذلك ، ففي السيرة الحلبية توفي ابو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من البعثة ، وفي تاريخ ابي الفدا مات ابو طالب في السنة العاشرة من البعثة ، وفي بلوغ الارب قال الواقدي وتوفي ابو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة وفي تاريخ الخميس عن السيرة اليعمرية مات ابو طالب في السنه العاشرة من النبوة ، وفي كامل ابن الاثير توفي ابو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروجهم من الشعب فتوفي ابو طالب في شوال اوفي

ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة ، وقال ابن هشام في سيرته مات ابو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين . وقال ابن الجوزي كما في تاريخ الخميس مات ابو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وفي البحار في باب دخول النبي (ص) الشعب وفي السنة العاشرة من النبوة مات ابو طالب ، وعن قصص الراوندي توفي ابو طالب في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله (ص) وقال الطبري ثم ان ابا طالب وخديجة هلكا في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وفي الطبقات لابن سعد توفي ابو طالب في السنة العاشرة من حين بعث رسول الله (ص) واختلفت كلمات الاقلين مردد بعض وفاته بين التاسعة و العاشرة واختار بعض كونها في الثامنة ونسب القول بها في العاشرة الى القيل ، يقول الدحلاني في سيرته كانت وفاة ابي طالب في التاسعة او العاشرة من النبوة ، ويقول ابن عبد البر في استيعابه توفي ابو طالب في السنة الثامنة وقيل في العاشرة من مبعثه (ص)

فمن هذا ونحوه يتمكن المطلع من ترجيح قول الاكثر ذلك عندما يرى من الاختلاف والاضطراب في قول الاقلين .

النبي (ص) يؤبن ابا طالب

٩

ان فقد ابي طالب واـ ـم قعه شعوب قريش وقبائلها جمعاً وعز سمعه على الجميع وخص آل هاشم وبني عبد المطلب وآل

ابي طالب غير ان ذلك المصاب اختص بمحمد (ص) علاوة على ذلك بالخصوص، فان علاقتي النبي (ص) الودية والسياسية الصميمتين كانتا مقصورتين على ابي طالب ففقده فقد النبي (ص) باعطوفاً ومستشاره التوحيد في مهمات اعماله وبدفنه دفن جم من آماله المعجلة في ام القرى، وهذه الخصوصية الثانية لم تكن لسواه (ص) مع ابي طالب فال عبد مناف وان شاركوه في التأثر لفقد ابي طالب من حيث المحبة والرحم كل بحسبه فيهما، غير انهم لم يشاركوه في الجهة الثانية، ولقد نهض ابو طالب يوم كان بواجب العلاقتين ايما نهوض فان ابا القاسم محمد (ص) هو الذي ميزه ابو طالب بمحبته، ومحضه نصحه وآثره بإعزازه واختصه بنصرته فكم جاهد بين يديه، وجالد وكم اغضب واغضب في سبيله وباعد، فكان بذلك كله ابا رؤفا، وبراً عطوفا يفدي النبي (ص) بنفسه واهله وماله وولده، ويجد بذلك كله قرة عين وبرد فؤاد، وجذل ظفر، وصفقة ربح، فلذلك اختص المنقذ الاعظم (ص) بالخصوص بجليل رزئه وفادح خطبه وألم مصابه وعليه فهل يستبعد من النبي الكريم (ص) وقوفه في مواطن عديدة لتأبين عمه قياماً بواجب شكره واداء لحق احسانه وبره

نعم: قام (ص) في مواطن كثيرة يؤبنه ويبكيه ويعدد نعمه عليه واياديه — فنها — عندما وقف عليه وهو مسجى فقال (١) ياعم كفلت يتيما وربيت صغيراً ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيرا ياعم — ومنها — لما رفع نعشه بعدما غسله علي (ع) وحنطه

(١) رواه ابن بابويه في الامالي مسنداً

وكفنه بأمر (١) النبي (ص) حيث خرج (ص) ليشيعه فاعترض النعش وقال (٢) برقة وحزن وكآبة — وصلت رحما وجزيت خيرا ياعم فلقد ربيت وكفلت صغيرا ونصرت وآزرت كبيرا

— ومنها — حين وضع النبي (ص) عمه فى لحده فانه بكى وقال (٣) واابتاه واابا طالباه واحزناه عليك ياعماه كيف اسلو عنك يامن ربيتنى صغيرا واجبتنى كبيرا وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد

هذه الكلمات هى من جوامع الكلم اغنت عن جمل مطولة وخطابات مفصلة، فقد مر (ص) على تاريخ حياة عمه ابى طالب معه فى حسن الرعاية وجليل العناية بكلمات اربع، كفلت، ربيت، اجبت، نصرت

(١) قال فى اسنى المطالب ص ٢٤، فمن الصحيح ما اخرجه ابن سعد وابن عساكر عن على (ع) قال اخبرت رسول الله (ص) بموت ابى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له وفى الصحيفة نفسها قال وفى السيرة الحلبية ان هذا الحديث اخرجه ايضاً ابو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن على (ع) وذكر الحديث نفسه

(٢) رواه المجلسى عن المفيد، وفى الاصابة ج ٧ ص ١١٢ ط مصر سنة ١٣٢٥ ذكره ابن حجر باختصار

(٣) يرويه البكرى فى كتاب مولد امير المؤمنين (ع)

وانت اذا رجعت الى قوله (ص) (وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد) علمت مقدار حفاظه ومحافظته وحياطته له (ص) وحق ان التاريخ لو لم يذكر عن ابي طالب شيئاً لعرفنا التفاصيل كلها بهذه الكلمات الوجيزة ولكانت هي وحدها تتكفل شرح ماهو مبهم لدينا من احواله

ان النبي (ص) لم يكن ليقتصر على ذكره لابي طالب في هذه المواطن فحسب بل مازال يذكره ويشكره مدة عمره ويرشدك الى ذلك ماسيمر عليك قريبا انشاء الله تعالى تحت عنوان ليس للنبي مقام في مكة بعد ابي طالب ومن ذلك ايضا ماذكره ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٣١٦ ، من ان اعرابيا جاء الى رسول الله (ص) في عام جدب فقال اتيناك يارسول الله ، لم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر ثم انشد

اتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت ام الرضيع عن الطفل

والقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع حتى لا يمر ولا يحلى

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا الا اليك فرارنا واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام النبي (ص) يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا هنيئا مريعا سحاسجا لاغدقا طبقا دائما دررا تحيي به الارض وتنبت به الزرع وتدر به الضرع واجعله سقيا نافعا عاجلا غير رائث فوالله مارد رسول الله (ص)

يده الى نحره حتى القت السماء ارواقها وجاء الناس يضجون الغرق الغرق يارسول الله فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالاكليل فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عينه من ينشدنا قوله فقام علي (ع) فقال يارسول الله لعلك اردت وابيض يستسقى الغمام بوجهه ، فقال اجل فانشد ابياتا من هذه القصيدة ورسول الله (ص) يستغفر لابي طالب على المنبر ، ثم قام رجل من كنانة وانشد

لك الحمد والحمد ممن شكر	سقينا بوجـه النبي المطر
دعا الله خالقـه دعـوة	اليه واشخص منه البصر
فمـا كان الا كما ساعـة	او اقصر حتى رأينا الدرر
دفاق العزالى وجم البعـاق	اغاث به الله عليـا مضر
فكان كما قاله عمـه	ابو طالب ورداه غـرر
بـه يسر الله صوب الغمام	هذا العيان وهـذا الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيـد	ومن يكفر الله يلقى الغير

فمن قوله (ص) لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عينه ، تعلم ان النبي (ص) شديد الغرام بابي طالب كثير الذكر له ، لذا تراه لاول مناسبة يذكره وهو على المنبر في ذلك المجتمع بأحسن الذكر ، ومن بقائه (ص) على المنبر في حين انه قد انتهى غرضه ومن استنشاده شعره في ذلك الحال يمكنك ان تستنتج استبشاره (ص) ومزيد اهتمامه

لذكره ولا يخفى مافى ذلك مع دوام استغفاره له فى الوقت نفسه من اكبار ابى طالب وتكبيره فى اعين المجتمعين سيما اذا راوا النبي (ص) يتهلل وجهه فرحا وسروراً باسماع منظومه، ونحن نستظهر دوام ذكره له فى خلواته ومع اصحابه وفى كل موطن من سير احوال الصحابة معه (ص) فى ترديد ذكر عمه بأدنى مناسبة فكأن حبه لذلك معلوم لديهم من حال النبي (ص) فهم يتقربون اليه بدوام ايناسه بذكره ويرشدك الى ذلك بيت الكناني المتقدم الذكر (فكان كما قاله عمه ابو طالب) البيت، وما يروى (١) مسندا عن ابن عباس انه قال جاء ابو بكر الى النبي (ص) بأبي قحافه يقوده وهو شيخ كبير اعمى فقال رسول الله (ص) الا تركت الشيخ حتى نأتيه. فقال اردت يارسول الله ان يؤجره الله تعالى والذى بعثك بالحق لانا كنت اشد فرحا بأسلام عمك ابى طالب منى بأسلام ابى التمس بذلك قرة عينك، ونتبع ذينك بشاهد ثالث يقول ابن ابي الحديد — فى شرح النهج ج ٢ ص ٢١٦ فى شأن ابي عبيده بن الحرث نقلا عن السير والمغازى — ان عتبة ابن ربيعه اوشيبه لما قطع رجل ابى عبيده بن الحرث بن المطلب يوم بدر اشبل عليه على وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة الى العريش فالقياه بين يدى رسول الله (ص) وان مخ ساقه ليسيل فقال يارسول الله لو كان ابو طالب حيا

---

(١) الاصابة ج ٧ ص ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٠

لعلم انه كان صادقا فى قوله :

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فاستغفر رسول الله له ولابي طالب وبلغ عبيدة مع النبى (ص) الصفراء فمات فدفن بها رحمه الله تعالى

هذه حالة الصحابة معه (ص) كما ترى يذكرون عمه لاول مناسبة ولا نرى منشأ ثمة سوى ماقلناه

تشريع صلوة الاموات بعد فوت ابى طالب

١٠

للسائل ان يسئل اصلى النبى (ص) على جنازة عمه ابي طالب ام لا والجواب هو ما اجاب به ابو الجهم بن حذيفه حيث سؤل بعين هذا السؤال فقال واين الصلوة يومئذ انما فرضت الصلوة بعد موت ابى طالب ولقد حزن رسول الله (ص) وامر عليا بالقيام بامره وشيع جنازته ، روى ذلك ابو الفرج مسنداً وهذا من المسلمات فقد روى ايضا الموضح النسابه مسنداً ان ابا طالب لما مات لم تكن الصلوة على الاموات مفروضة فما صلى النبى (ص) عليه ولا على خديجة لكن حزن عليه وشيع جنازته واستغفرله انتهى

والذي عليه اهل السير وغيرهم ان وفاة خديجة كانت بعد وفاة ابى طالب ترى ذلك فى سيرة الملا وسيرة اليعمرى وفى حياة الحيوان والسمط الثمين واسد الغابة والاستيعاب وادت اذا احرزت هذا يمكنك ان تستمده المطلب من جميع جهاتـــه من طريق القوم بتقريب ما ستسمعه

ففى تاريخ الخميس يقول صاحب الصفوة ونزل (ص) حفرة خديجة ولم يكن يومئذ سنة الجنائز الصلوة عليها وفى السيرة الحلبية ودفنت ـــ خديجة ـــ بالحجون ونزل (ص) حفرتها ولم تكن الصلوة على الجنائز شرعت فمن هذا وذاك يتضح لك ان الصلوة على الجنائز انما فرضت بعد فوت ابى طالب

يوم ابى طالب

١١

من البديهى ان مكانة شيخ الابطح فى قريش وبروز شخصيته فيها هى وحدها مدعاة لان يكون يومه يومـــاً مشهوداً ونحن لم نكتف بهذا التقريب فحسب هذا ابو الحسن البكرى فى كتاب مولد امير المؤمنين (ع) يقول شققن النساء عـــلى ابي طالب الجيوب ونشرن الشعور وشمل الحزن جميع شعاب مكة وشعوبها

وقد ذكر السيد فخار بن معد فى كتابه ابياتا لامير المؤمنين على (ع) يرثي فيها اباه منها

ابا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك اهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم

ليس للنبي (ص) مقام في مكة بعد ابي طالب

١٢

اجل بفضل حماية ابي طالب وحياطته تسنى للنبي (ص) البقاء في مكة بعد اظهار الدعوة، وما ان غاب عن النبي (ص) وجه ابي طالب حتى ظهرت في وجوه قريش صفحات الغدر، وعلتهما سمات المكر، فقد خلا لهم الجو، وتفرق جيش محمد (ص) يوم ارتحل بيضة البلد، ولفت اعلامه يوم غيب في الترب العمد وبذلك تهدم سوره المانع وتكهم سيفه القاطع، واستوحد ابو القاسم محمد (ص) فلا مانع ولا دافع، ولذا عدوا عليه (ص) يؤذونه بصنوف من الاذى، وقعدوا له كل مقعد، ووضعوا عليه العيون في كل مرصد، واخذوا يرمونه بالدواهي من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله ومن فوق رأسه الشريف ومن تحت قدميه، واقبلت الفواقر تترى كقطع الليل المظلم، تترامى عليه في المضائق والمنفرجات وفي قمم الجبال الشاهقة وفي اعلى الاكمات وفي بطون الاوديه وفي السهل والحزن، وقد اشار (ص) الى هذا ونحوه حيث

قال (لم يؤذ نبي بمثل ما اوذيت به)

لم تكن قريش لتحلم ببعض هذا في حياة عمه، بل ولا في العشر من المعشار، بل ولا في الواحد من الف، ولذا كان (ص) كثيرا ما يشكو بثه وحزنه — وفيما احسب انه لبقايا اصحابه المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة الى الحبشة او غيرها — فيقول (١) ما زالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب، وعند اشتداد الازمة وتفاقم الخطب بتهجمهم عليه المرة تلو المرة وانزالهم به الضربة اثر الاخرى كان يستصرخ روح عمه الطاهرة ويستريح بالشكوى اليها فيقول ياعم ما اسرع ما وجدت فقدك (٢) وفي اثناء تلك الشدائد امره الله تعالى بالخروج من مكة يروي الكافي عن ابي عبد الله (ع) قال جبريل يا محمد اخرج من مكة فليس لك بها ناصر فخرج هاربا حيث ثارت به قريش حتى جاء الى جبل يقال له الحجون فصار اليه

ويقول ابن ابي الحديد في شرح النهج ج١ص١٠ جاء في الخبر انه لما توفي ابو طالب اوحى الله الى رسوله (ص) ان اخرج من مكة فقد مات ناصرك

وخرج (ص) الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به، فأبت نفوس الثقفيين

(١) الطبري جلد ١ جزء ٢ ص ٢٢٩، السيرة الحلبية ج ١ص ٣٥٣

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣

الخبيثة الا الطغيان حيث امتنعوا عن نصرته وعن الاصغاء لدعايته وجبهوه بالرد باقبح صورة وناله منهم من الاحتقار ما الله به اعلم ولما انقطع رجاؤه من ثقيف اراد (ص) الانسحاب بانتظام فابوا عليه واغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم . فاخذوا يرمونه بالحجارة تارة ويقذعون فى الشتم والسباب تارة اخرى ، حتى التجأ الى بستان فعمد الى شجرة فاستظل فيها والدم يسيل من ساقيه وقدميه لشدة وقع ما اصابه من الحجارة وهو يناجي الله سبحانه وتعالى شاكيا حيث يقول (١) اللهم اشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي ، الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى ام الى عدو ملكته امرى ، ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ولكن عافيتك هى اوسع لى ، اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بى غضبك او يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

ثم قدم مكة وقومه على اشد ما كانوا عليه من خلافه ، ولما عرض نفسه على القبائل فى الموسم يدعوهم الى الله تعالى انشأوا يظمون الحركات العدائية ضد دعايته (ص) وحيث لم ينجحوا فى تمام تدابيرهم ... وقفوا على شىء من بيعة الانصار المدنيين فى العقبة ورأوا ان امره لا يزداد الا علوا وشأنه لا روحه ودينه الا انتشارا

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧ [illegible]

مهما لجوا فى كفرهم ، ومهما وضعوا على دعايته العيون والارصاد ومهما اوغلوا فى تحقير امره وتصغيره — طفقوا يرتأون الحيلة فى قتله حذار تغلبه عليهم فيما اذا كثر اعوانه وعقدوا لذلك اجتماعات خاصة ، وكان الاجتماع الاخير فى دار الندوة ، فتداولوا الاراء ثمة وبعد مخضها وقع الجمع على القرار النهائى فى سفك دمه (ص) فانتدبوا لهذا الامر جماعة من بطون قبائل شتى ليضيع دمه باشتراك القبائل فيه لكن خلص النبى (ص) من كيدهم ومكرهم فان الله تعالى انزل على رسوله (ص) فى ذلك الحين قرآنا يتلى فيما دار بينهم من المكر ﴿ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾

ثم اطلعه سبحانه وتعالى على تفصيل ما اجمعوا عليه واذن له بالهجرة فدعا النبى (ص) عليا (ع) واطلعه على ما اجمعت عليه قريش وعهد اليه بامور ثم امره بالمبيت على فراشه ليلة موعد هجومهم عليه (ص) باسيافهم لانفاذ القرار ، فاجابه على (ع) ملبيا بصدر رحب ورباطة جاش مفديا النبى (ص) بنفسه باذلا فيه مهجته ، فبات على الفراش يصور فى عيون المهاجمين ان النبى (ص) لم يبارح مكانه حيث التف ببرده (ص) الحضرمى الاخضر الذى كان يلتف (ص) به عند المبيت ، ثم خرج (ص) مهاجرا فانزل الله تعالى فى تلك الليلة فى امير المؤمنين (ع) (١) (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)

(١) ذكر ذلك الثعالبى والرازى فى تفسيريهما عند الكلام على هذه الآية .

تقديراً لمبيت علــــى (ع) على الفراش واعظاما لشأنه ، ولبيان فضل الارومة المبيت محل آخر

نعم كان النبي (ص) فى حياة ابى طالب فى غنية عن هذه المشاق ولما اودى كان ماسمعت بمحله واضطر للجلا عــــن بيت الله الحرام ولم يبق له فى مكة مقام وهى مسقط راسه ومحل انسه وكرسى مجد آبائه (ص) واجداده ، فتامل بذا ونحوه ايها المسلم المنصف واشكر لابى طالب جهوده وقدر مواقفه ومقامه فى الاسلام . ولاتكن من الجاحدين لكلمة خرجت من فم السياسة الاموية فتلقاها بعض بقاسرى الرهبة والرغبة ، (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الاكــــذبا) .

رأى العــــالم الاسلامى فى اسلام ابى طــــالب

١٣

١ ـــ الشيعة الامامية

جملة الامامية بقول واحد على اسلامه وايمانه تبعا لأئمتهم اهل البيت (ع) الذين ارشــــد رسول الله (ص) اليهم ، ودل عليهم ، وامر بالاستمساك بهم فى امر الدنيا والدين ، فهم كما قال (ص) سفن النجاة ، وباب حطة ، وامان اهل الارض ، واحد الثقلين اللذين

لن يضل من تمسك بهما ، الى غير ذلك مما ترويه عنه (ص) صحاح اهل القبلة كافة

٢ ـــ الزيدية

اكثر الزيدية يقولون بمقالة الامامية فى اسلامه وايمانه

٣ ـــ المعتزلة

يقول بعض اكابر المعتزلة بعين المقالة المتقدمـــة ولا يرى لغيرها نصيبا من الواقع

٤ ـــ العامـــة

منهم من يرى ايمانه والجمهور منهم ومن المعتزلة وقليل من الزيدية يرون انه مات على الكفر والعياذ بالله ، وقريبا نوقفك على رد ماتمسكوا به لمزعمتهم الفاسدة

سر التشكيك فى اسلامه

ـــ او ـــ

تاريخ تولد النزاع فيه

١٤

كم من حقيقة ناصعة بيضاء ذهبت فريسة الاهواء ، وكم من حقائق راهنة وضعت فى باحة التشكيك وربما مضى على احدها اعوام عديدة وايدى الخلائق جمعاء تشير اليها بالتسليم ، وتتصافق

عليها بالسلام والدعة ولم يخطر على قلب بشر ان يضعها فى ميزان الشك او على بساط البحث والنظر غير ان ايدى القوى الزمنية القاهرة كثيراً ماحولت الضرورى نظريا ، والحلال حراما . والحرام حلالا ، والجمل ناقة ، ولذا نراها تقتل كل حقيقة مشروعة تعترض سيرها بكل نوع من المدمرات كيفما ساعدتها الظروف وعلى قدر الرهبة والرغبة ، وتجد فى التشكيك لذة حينما لايمكنها القضاء على بعض الحقائق قضاء نهائيا ، ذلك عندما نراها تذيع الانباء لا عن حقيقة فتمثل روايات الافتراء على مسارح هذه الحياة حيثما شاءت وشاء لها التشكيك بحقيقة راهنة يقرها العقل والمنطق

من هذه الحقائق التى كانت من الوضوح بمكان فى الصدر الاول من الاسلام — ايمان ابي طالب

اجل لم يكن النزاع فى هذه المسألة معروفاً قبل منازعة الامام على (ع) فى امر الخلافة حينما صارت اليه . والذى اعتقده ويعتقده كل من نظر فى التاريخ والسير والاخبار وامعن النظر بدقة ان نزاع المسلمين فى الاثبات والنفى فى المسئلة انما هو وليد قيام معاوية وملائه ضد الخلافة العلوية ، ووليد اسعارهم نيران الحرب والفتن عداوة لصالح المؤمنين على (ع) وليد جهدهم فى الليل والنهار فى دحض كل فضيلة ومكرمة عنه ، ولقد ابت نفوسهم الا التشكيك بعنوان مناقب والد الامام (ع) وحبيب النبي الكريم (ص)

هنا يلزمنا ان نمر بك على طرف يسير من سيرة معاوية

واعماله التى ترتبط بالمقام ليكون ذلك هو البرهان الجلى على صحة نظريتنا فى استنتاج تاريخ تولد النزاع فى المسئلة

تربع معاويه على العرش بالرغم عن كره الامة ، واستوسقت له الامور بعد مقتل على (ع) وصلح الحسن (ع) على شروط اشترطها عليه لم يف له بها ، ولم يكن فى الدنيا بعد ذلك اثقل على معاوية من ذكر مناقب على (ع) واهل بيته ، فى حين ان من بقى من الصحابة ذوى السوابق فى الاسلام يسبحون بحمد على (ع) ويقدسون آثاره ، ويقدرون له جهوده ، ويحدثون بما جاء فى القرآن والسنة فى مناقبه لاياديه البيضاء على الاسلام منذ قام بالدعوة اخوه الصادق الامين الى آخر آن من حياته (ع)

وبالطبع ان هذا من الصحابة امر لابد منه فان عليا عليه السلام هو بطل هذا الدين وساعد مؤسسه (ص) الاسد ، وخليق بكل صحابي او تابعي ان يطريه ويطرى اهل بيته لما لهم من البروز والظهور فى الاسلام ، ومهما اجاد الصحابى فى مدحهم (ع) يعترف بالتقصير عندما يرتل سور حمدهم (ع) فى القرآن ويتلو محمود مدحهم فى السنة وهذه المدائح الباهرة التى كان يسمعها معاوية لم تكن لتثقل على سمعه فحسب بل انها كانت تبعث الى نفسه اسوأ الاوهام والظنون وتجعله يترقب من ورائها الويل والشور على حين انه لم يحطم اساس كل مسنون فى الاسلام الا ليستولد من الخلافة ملكا ضخما يقره فى عقبه ، ومادام لاهل البيت نور وظهور

وفيهم نظير سبطي الرسول (ص) الحسن والحسين (ع) لايدوم لبني ابيه ملك وان دام ملكه في حياته ، والحق لامحالة بعد مهلكه يرجع الى نصابه لذلك كله اراد معاوية ان يبرم الامر لبني ابيه ويبني لهم سورا حصينا حول العرش ، ومن البديهيات الاولية بنظر الداهية الاموي انه لايستقيم له ذلك الا بنقض اساس سور اهل البيت (ع) واطفاء نورهم وحمله الناس على رقابهم وفعله الشنيع في اصحابهم ، وقد تلقى هذه النظرية عنه الامويون كافة ، ولذا قال مروان بن الحكم - كما اخرجه الدار قطني - ما كان احد ادفع عن عثمان من علي ، فقيل لمروان مالكم تسبونه على المنابر ، فقال انه لايستقيم لنا الامر الا بذلك .

وقد طبق منهاج نظريته هذه كما يحكيه لنا التاريخ فتارة يروى لنا بطش معاوية وتنكيله بشيعة علي (ع) وال وبكل من ذكره وآله بخير او روى لهم عن صاحب السنة (ص) فضيلة

وطورا يحدث عن تمرينه بدر الذهب الوهاج واقطاع المقاطع والضياع وبناء البنايات الفخمة وتجهيزها بالاثاث والرياش لمتنسكي السوء على ان يختلقوا الاحاديث المكذوبة بالغض من كرامة علي (ع) واهليه والنيل منهم باقبح صورة ، ثم يذيعون روايتها في الاقطار

هكذا تستشهد جملة من الحقائق يشكك في جملة اخرى وكذا تكون بين فجوتي الترهيب والترغيب بجزرتها العظمى وبذلك تسنى لمعاوية ان يجعل من السنة شتم علي (ع) نحو ستين سنة

يقول الحافظ السيوطي انه كان في ايام بني اميه اكثر من سبعين الف منبر يلعن عليها علي (ع) بماسنه لهم معاوية من ذلك وفي ذلك يقول العلامة احمد الحفظي الشافعي في ارجوزته

وقد حكى الشيخ السيوطي انه	قد كان فيما جعلوه سنه
سبعون الف منبر وعشره	من فوقهن يلعنون حيدره
وهذه في جنبها العظائم	تصغر بل توجه اللوائم
فهل ترى من سنها يعادى	ام لا وهل يستلزم يهادى
او عالم يقول عنه نسكت	اجب فاني للجواب منصت
وليت شعري هل يقال اجتهدا	كقولهم في بغيه ام الحدا
اليس ذا يؤذيه ام لا فاسمعن	ان الذي يؤذيه يؤذي من ومن
بل جاء في حديث ام سلمه	هل فيكم الله يسب مه لمه
عاون اخا العرفان بالجواب	وعاد من عادى ابا تراب

وهاك جملا تناسب المقام وتظهر لك نفسية معاوية وتريك سوء عمله في اتخاذ كل تدبير لطمس منار اهل البيت (ع) (يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون).

ففي شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٥، روى ابو الحسن علي ابن محمد بن ابي سيف المدني في كتاب الاحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر

يلعنون عليا (ع) ويبرؤن منه ويعقون فيه وفى اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على (ع) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام على (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية الى عماله فى جميع الآفاق الا يجيزوا لاحد من شيعة على واهل بيته شهادة وكتب اليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان (رض) ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا الى بكل مايروى كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى اكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه فى العرب منهم والموالى فكثر ذلك فى كل مصر وتنافسوا فى المنازل والدنيا فلبثوا بذلك حينا ثم كتب الى عماله ان الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كل مصر وفى كل وجه وناحية فاذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس الى الرواية فى فضائل الصحابة والخلفاء الاولين فلا تتركوا خبرا يرويه احد من المسلمين فى ابى تراب الا واتونى بمناقض له فى الصحابة مفتعل فان هذا احب الى واقر لعينى وادحض لحجة ابى تراب وشيعته واشد اليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس فرويت

اخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لاحقيقة لها وجد الناس فى رواية ماجرى هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر والقى الى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا فى ذلك ماشاء الله تعالى، ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان انظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب عليا واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة اخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء اشد ولا اكثر منه فى العراق ولا سيما بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة على (ع) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى اليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان اعظم الناس بلية فى ذلك القراء المراؤن والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى ايدى الديانيين الذين لايستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق، لو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن على (ع)

فازداد البلاء والفتنة ثم تفاقم الامر بعـــد قتل الحسين (ع) وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعـــة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب اليـه أهـل النسك والصـــلاح والدين ببغض على (ع) وموالاة اعدائه فاكثروا فى الرواية فى فضلهم ومناقبهم واكثروا من الغض من على (ع) وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى ان انسانا وقف للحجاج ويقال انه جد الاصمعى عبدالملك ابن قريب فصاح به ايها الامير ان اهلى عقونى فسمونى عليـــا وانى فقير بائس وانا الى صلة الامـــير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ماتوسلت به قد وليتك موضع كذا ،

وعن الكامل للمبرد استعمل معاوية المغيرة بن شعبة عـــلى الـكوفة ودعاه فقال له اما بعد فان لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا ولا يجزى عنك الحليم بغير التعلم ، وقـــد اردت ايصائك بأشيـاء كثيرة انا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تـاركا ايصائك بصـلة واحدة لاتترك شتم على وذمه والعيب لاصحابه والاقصاء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمني وستبلونى فستحمد او تذم قال بل نحمد انشاء الله فاقام المغيرة عاملا عـــلى الـكوفة وهو احسن شئ سيرة غير انه لايدع شتم عـــلى (ع) والوقوع فيه

وفى شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٣٦١ ، ان معاويـــة بذل لسمرة بن جندب مائه الف درهم حتى يروى هـــذه الاية انزلت

فی علی (ع) وهی قوله تعالی (ومن الناس من یعجبك قوله فی الحیاة الدنیا ویشهد الله علی ما فی قلبه وهو الد الخصام واذا تولی سعی فی الارض لیفسد فیها ویهلك الحرث والنسل والله لا یحب الفساد) وان الایة الثانیة انزلت فی ابن ملجم وهی قوله تعالی (ومن الناس من یشری نفسه ابتغاء مرضات الله) فلم یقبل فبذل له مائتی الف درهم فلم یقبل فبذل له اربعمائة الف فقبل وروی ذلك

ان مكذوب الحدیث اروج سلعة بیعت فی اسواق السیاسة الامویة وهذا من مهمات جنایاتهم علی الدین الاسلامی، یقول ابن ابی الحدید فی شرح النهج ج ٣ ص ١٦، قال بن عروة — المعروف بنفطویه وهو من اكابر المحدثین واعلامهم — ان اكثر الاحادیث الموضوعة فی فضائل الصحابة افتعلت فی ایام بنی امیة تقربا الیهم بما یظنون انهم یرغمون به انوف بنی هاشم، ویقول فجر الاسلام ج ١ ص ٢٠٠ وتلمح احادیث كثیرة لاتشك وانت تقرؤها انهـا وضعت لتأیید الامویین كالخبر الذی روی ان رسول الله (ص) قال فی معـاویة اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب، وكالذی روی ان عمر بن العاص قال قال رسول الله (ص) ان آل ابی طالب لیسوا لی باولیاء

ومن الضروری الذی لایخالجه ریب ان من لایتحرز عن مثل هذه المناكیر فهو خلیق بان لا یتحرز عن وضع الاخبار الكثیرة فی تكفیر ابی طالب (ع) ایذاء لعلی (ع) وآل ابی طالب وشیعتهم

ليكون المتغلب الاموى بذلك قرة عين ، ومن هان عليه بذل اربعمائة الف لسمرة ليروى للناس ان الاية الاولى المتقدمة الذكر انزلت فى على (ع) يهون عليه البذل فى سبيل تكفير والده (ع) . على ان الاغراض السياسية التى قادتهم الى الطعن فى آل ابى طالب هى نفسها التى حدتهم على الطعن فى ابى طالب وبالطبع ان مثل هذه التدابير تنطلى على كثير من البسطاء فى ذلك العصر فيرونها حقاء وبذلك ترجح كفة ابن ابي سفيان بنظرهم وتخف كفة على (ع) حيثما يرون الطعن فيه وفى ابيه وفى شيعته وذويه

نعم ويؤدى ذلك فى العصور المتاخرة الى الاعتقاد بصحتها من جملة من العرفاء وبالاخص عندما يجدونها روايات مسندة الى من يمت بأبى طالب بنسب او تجمعه واياه آصرة رحم وما هى فى الحقيقة الا افتراءات مفتعلة من رجال السوء

وبمثل هذا اغتر كثير من العرفاء ومنهم الفاضل المعتزلى لما نقلت له اسطورة النص الى المنصور فاتخذها بيده متمسكا قويا وطفق يعربد فى تقريب صحتها وقبولها معاً بدون مباراة وتقدس وستسمع ماهو التحقيق فيها انشاء الله تعالى

فبمجموع ماقدمناه يمكنك ان تكتنه السر فى الاختلاف فى المسئلة وتستطيع ان تستنتج تاريخ تولد النزاع

نظرة فيما تمسك به المكفرة

١٥

حن لو رجعنا الى ماتمسك به المكفرة لوجدناه فى غاية من الوهن

ولذا نرى اهل التحقيق لم يحفلوا به، بيد ان جماعـــة من الناس اعتمدوا على اخبار ملفقة واقوال بدون حجة واغفلوا البحث عن صحتها وسقمها وعما يعارضها من الصحاح

(منها) مايروونه عن سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة قال له رسول الله (ص) في كلام لاستغفرن لك فانزل الله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفـــروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم)

ان رواية نزول هذه الاية في ابي طالب مخدوشة السند . لايصح ان يكون ذلك شأن نزولها ، معارضة بما هو اقوى منها سندا واقرب اعتباراً ، وكل واحده من هذه الجهات الثلاث تسقطها عن درجة الاعتبار عند اهل الفن

١ — سندها

سمعت انهم يروونها عن سعيد بن المسيب ، وسعيد هذا لايوثق بروايته مع اشتهاره بالانحراف عن امير المؤمنين علي (ع)

يقول ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٧٠ ، وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عن علي عليه السلام ، ويرشدنا الى ذلك ماحكاه ج ١ ص ١٨ ايضا في الصحيفة نفسها قال روى عبدالرحمن بن الاسود عن ابي داود الهمداني قال شهدت سعيد بن المسيب واقبل عمر بن علي بن ابي طالب (ع) فقال له سعيد يا ابن اخي مااراك تكثر غشيان

مسجد رسول الله (ص) كما يفعل اخوتك و بنو اعمامك فقال عمر يابن المسيب اكلما دخلت المسجد اجيء فاشهدك فقال سعيد ما احب ان تغضب سمعت اباك يقول ان لى من الله مقاما لهو خير لبنى عبد المطلب مما على الارض من شيء فقال عمر وانا سمعت ابى يقول مامن كلمة حكمة فى قلب منافق فيخرج من الدنيا الا يتكلم بها فقال سعيد يا بن اخى جعلتنى منافقا قال هو ماأقول لك ثم انصرف

هذه الشدة والمصارحة من عمر بن على (ع) مع ابن المسيب لم تكن الا عن انحرافه الشديد عن والده (ع) والا فليس فى كلام ابن المسيب مع عمر مايوجب هذا القدر من قوارص الكلم ، وقد تجلى لنا اثر انحراف سعيد مما يرويه لنا جمع من اهل السير منهم الواقدى من ان سعيد بن المسيب مر بجنازة السجاد على بن الحسين (ع) بن على بن ابى طالب (ع) ولم يصل عليها فقيل له ألا تصلى على هذا الرجل الصالح من اهل البيت الصالحين فقال صلوة ركعتين احب الى من الصلوة على الرجل الصالح

وهذا القدر كاف فى جرح ابن المسيب واسقاط مايرويه

٣ — شأن نزولها

نرى ان كلام النبى (ص) مع ابي طالب كان قبل وفاته كما هو نص رواية سعيد وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهذه الاية هى الرابعة عشر بعد المائة من سورة التوبة ، وسورة التوبة انزلت فى غضون السنة التاسعة بعد الهجرة واذاً بين قوله (ص) لعمه

(لاستغفرن لك) وبين نزول الاية اثنا عشر سنة وعليه فمن الغريب المستهجن جدا نزول هذه الاية فى ابى طالب والحالة هذه.

٣ — معارضتها بما هو اصح منها سندا واقرب اعتبارا

يقول فى اسنى المطالب ص ١٨ ، رأينا ان عليا رضى الله عنه روى عنه بطرق صحيحة رواها الامام احمد والترمذى والطيالسى وابن ابى شيبة والنسائي وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى، ان السبب فى نزول الاية استغفار ناس لآبائهم المشركين قال على رضى الله عنه سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فذكرت ذلك للنبي (ص) فنزلت (ماكان للنبي والذين آمنوا الاية) فهذه الرواية صحيحة ، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الاية فلما نزلت امسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم انزل الله تعالى (وما كان استغفار ابراهيم) الاية يعنى استغفر له مادام حيا فلما مات امسك عن الاستغفار له قال وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية اصح كان العمل بها ارجح فالارجح انها نزلت فى استغفار اناس لآبائهم المشركين لا فى ابى طالب انتهى

اذاً فتمسك المكفرة برواية ابن المسيب مع الخدش فى سندها

وعدم مطابقتها لشأن نزول الاية وجوه امر اصح منها ، بمكان من الوهن وتنكب عن جادة الانصاف ، وخلاف [illegible] اهل التحقيق كالزمخشري فى كشافه عند الكلام على هذه الاية حيث لم يصحح نزولها فى ابى طالب ، و كالعلامة السيد محمد بن رسول الملقب بالبرزنجى حيث تتبع ماروى فى نزول الاية و بعد التحقيق قال — كما فى استى المطالب ص ١٧ — ، الصحيح انهـا نزلت فى اباء الناس الذين ماتوا فى الكفر وكان [illegible] يستغفرون لهم

(ومنها) قولهم ان النبي (ص) لما [illegible] ابى طالب طلب منه ان يؤمن فابى فانزل الله تعالى (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) ويستدلون على ذلك بما يحكيه الزجاج من اجماع المسلمين على نزولها فى ابى طالب (ع)

يجدر بكل منصف ان يقضى [illegible] الاجمـاع المومى اليه فان الشيعة الامامية وهم من [illegible] الاسلام لايرون نزولها فى ابي طالب تبعا [illegible] اساس اسباب النزول ، وهم خزان علم [illegible] وفى ابياتهم نزل الكتاب

اللهم الا ان يخرجوا الشيعة [illegible] (ع) من فرق الاسلام كما اخرجوا ابا طالب ولبس ذلك [illegible] تلك سمة اجماعهم وهذه حالته واما الاحاديث [illegible] ابى طالب (ع) فهى معارضة بما بسطنا [illegible] ذلك [illegible] بذكره [illegible]

ابن رشادة الواعظ الواسطي في كتابه اسباب النزول عن الحسن بن الفضل من انها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وكان النبي يحبه ويحب اسلامه، ويقرب مايروى عن الحسن ابن الفضل اجماع المسلمين بدون استثناء على نزول الاية التي بعدهذه الاية في الحارث نفسه، لكن انحراف القوم عن ابي طالب صرف الاية الاولى اليه، وقد روى لنزول الاية اسباب اخر لانطيل الكلام بتعدادها وبالجملة فان جهل القوم باسباب النزول باعراضهم عن آل الرسول هو الذي دعاهم الى دعوى نزول الاية في ابي طالب.

اللهم احكم بيننا وبين الذين ظلموا عم رسولك الكريم (ص) بالحق وانت خير الحاكمين

(ومنها) قولهم ان قوله تعالى (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) انزل في ابي طالب

وهو كما ترى فان من لاحظ سوابق الايات ولواحقها يرى ان الاية وماقبلها ومابعدها منزل في اليهود والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الايات وذهاب جزالتها وهذا هو الذي ذهب اليه ابو حيان واشار اليه ابو السعود في تفسيره، على ان زعمهم الفاسد هو خلاف ما اتفقت عليه كلمة المفسرين كافة حيث ذكروا لسبب نزول الاية غيرها وهذا ليس منها فراجع تفسير الرازي والزمخشري والبيضاوي وابي السعود والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها

تتحقق ان ليس لنزولها فى ابي طالب عين ولا اثر ، ولاجرم ان كانت دعواهم مجردة عن البرهان فان تنكب الحق يفسد الرأى ويذهب بالروية

(ومنها) مايروونه من ان النبى (ص) حضر ابا طالب عند الموت وكان عنده ابو جهل وعبد الله بن امية المخزومى فقال النبى (ص) اى عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها فقال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية اترغب عن ملة عبد المطلب وما زالا يرددان القول حتى قال ابو طالب آخر ماكلمهم به انه على ملة عبد المطلب ولم يقل كلمة الشهادة

ليت شعرى كيف يصح لمحاجج ان تسكن نفسه لمثل هذه الرواية وهى على ماهى عليه من الوهن ، ام كيف يسوغ له ان ان يتخذها حجة بيده يصول بها على خصومه فى تأييد مزعمته فى حين انه يرى فى سلسلة رجال السند مثل اسحاق بن ابراهيم بن راهويه ، ونظير معمر بن راشد وكلاهما قد خفت كفتهما فى الرواية فى ميزان الذهبي ولذا يقول قال ابو عبيد الآجرى سمعت ابا داود يقول اسحاق بن راهويه تغير قبل موته بخمسة اشهر وسمعت منه فى تلك الايام ورميت به ، وذكر شيخنا ابو الحجاج حديثا عنه فقال قبل اسحاق اختلط

ويقول الميزان فى معمر ، معمر بن راشد له اوهام معروفة احتملت له وقال ابو حاتم ماحدث به ، معمر بالبصرة ففيه

اغاليط . وبقطع النظر عن الجرح في رواة الروايـــة كما سمعت فان الرواية معارضة بما روى بأسانيد عديدة عن العباس تارة وعن ابي بكر (رض) اخرى من ان ابا طالب مامات حتى قال لا اله الا الله محمد رسول الله

ومع مماشاة الخصم وتسليم صحة الرواية فالرواية لاتكون له بل هي عليه ولذا نراها لاتدل على اكثر من ان النبي (ص) انمـــا سأل من عمه كلمة التوحيد عند الموت ليشهد له بأنهـــا هي آخر عهده بالكلام كما هو المعروف من السنة النبويـة الى اليـوم من الاشهاد على التوحيد لدى الوصية كتبا وطلب اهل الميت منــه حال النزاع الاعتراف بالوحدانية قولا ، فطلب النبي (ص) من عمه كلمة التوحيد لذلك ، لا لأنه كان يطلب منـــه ان يدخل في الاسلام في ذلك الحين بل هو مسلم من اول يومه ، بيد انه لما كان السؤال بمحضر من عتاة قريش وطواغيتها نظير ابي جهل وكانوا يعتقدون ان ابا طالب على دينهم اجمل ابو طالب الجواب بما يوهم جبابرة قريش انه منهم جريا على سياسته في الاحتفـاظ بمصلحـة حضرة الرسالة (ص) (١) وبذلك الاجمال خفض من غلواء قريش

(١) يشهد لنا في اتخاذ ابي طالب (ع) هذه السياسة ماصح عن رسول الله (ص) ، قـــال (ص) ان اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الكفر فآتاهم الله اجرهم مرتين وان ابا طالب اسر الايمان واظهر الشرك فآتاه الله اجره مرتين والى هذه السياسة يشير العلامة السيد علي خان —

على النبي (ص) ، اجاب النبي (ص) الى ما اراد بالكناية في آن واحد فان في قوله (ص) انه على دين عبدالمطلب مقنعا لعتاة قريش حيث يرون ان عبد المطلب منهم ، وفي الوقت نفسه جوابا كنائيا عن سؤال رسول الله (ص) فانه اراد من قوله اني على ملة عبدالمطلب اني مقر بالوحدانية كما هو معلوم لدى النبي (ص) من حال من كان على ملة عبد المطلب ، وقد اسلفنا تحت عنوان (مولده ونشأته) مايدل على ايمان عبد المطلب من كلمات المؤرخين واهل السير ، على انه ثبت بالدليل القطعي ايمان عبدالمطلب وآباء النبي (ص) اجمع سلام الله عليهم ، وايمانهما قام عليه اجماع الامامية ، وقد ذهب الى ذلك جمع من اعلام غيرهم ، الفوا في ذلك رسائل وراجع تآليفات السيوطي في هذا الباب في البيت الخامس من مقطوعته هذه

ابو طالب عم النبي محمد	به قام ازر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخرا في المفاخر انه	مؤازره دون الانام وكافله
لقد جهلت قوم عظيم مقامه	فاضت ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ماقامت لاحمد دعوة	ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله
اقر بدين الله سرا لحكمة	فقال عداة الحق ماهو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة	اذا عصفت من ذي العناد اباطله
وكيف يحل الذم ساحة ماجد	ا[illegible] محمد [illegible] له
عليه سلام الله ماذر شارق	وما تليت احسابه وفضائله

ترى هذه الابيات في ديوانه وفي الدرجات الرفيعه ايضا

ان اباطالب(ع) لم يكتف بالكناية في جواب سؤال النبي (ص) وانما اجابه بها في حال الاضطرار والتقية من فراعنة قريش وبعده لم يزل يترقب الفرص لاجابة النبي (ص) صريحا في الاشهاد على كلمة التوحيد في اخريات كلامه في دار الدنيا ، وقد جعل طلب النبي (ص) نصب عينه وهو يجود بنفسه حتى اذا قام المشركون الالداء من المجلس — وكان في ذلك الوقت قد خفي صوته ودنت ساعته — تشهد صريحا وجعل الاعتراف بالوحدانية والرسالة آخر كلامه ويرشدنا الى ذلك ماروي عن العباس من انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفته فاصغى اليه بأذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبي (ص) ياابن اخي والله لقد قال الكلمة التي امرته بها

وقد اقر العباس بما دل على ذلك بعينه حيث قال مامات ابو طالب حتى قال لا اله الا الله محمد رسول الله ، وعليه فليس للخصم ان يجرح شهادة العباس وهي قوله ياابن اخي والله لقد قال الكلمة التي امرته بها بأن هذه الشهادة كانت منه حال كفره كما لا يخفى

(ومنها) حديث الضحضاح وقد اشتهرت روايته عندهم قالوا انه قال العباس بن عبد المطلب للنبي (ص) مااغنيت عن عمك ابي طالب فوالله كان يحوطك ويغضب لك فقال (ص) هو في ضحضاح (١) من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار

(١) الضحضاح مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار

وفى حديث آخر عن ابى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله (ص) وقد ذكر عنده ع يقول لعله تناله شفاعتى يوم القيمة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبه يغلى منه دماغه وهذا الحديث نفسه ذكر بسند آخر بزيادة كلمة واحدة حيث قالوا تغلى منه (ام) دماغه ·

نرشد المطلع الى ملاحظة سند الحديث الاول وسند الحديث الثانى وآنئذ يرى فى سلسلة سند الحديث الاولى سفيان الثورى يرويه عن عبد الملك بن عمير ، اما سفيان فدلس يكتب عن الكذابين ، واما عبدالملك فيضعفه ويغلطه نظير الامام احمدوكفى

يقول الذهبى فى الميزان — سفيان الثورى كان يدلس عن الضعفاء وقيل فى شأنه انه يدلس ويكتب عن الكذابين

ويقول فى عبد الملك فى الميزان ايضا — عبد الملك بن عمير القاضى فى الكوفة قد ضعفه الامام احمد وقال انه يغلط وقال ابن معين انه مخلط وقال ابن خراش كان شعبه لا يرضاه وذكر الكوسج عن احمد انه ضعفه جدا وذكره ابن الجوزى فذكر جرحه وماذكر له تعديلا .

ويرى ايضا فى السلسلة الاولى من سند الحديث الثانى عبدالله بن يوسف التنيسى يرويه عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، والثلاثه المرمى اليهم لا يؤمن لرواياتهم

يقول الذهبى فى ميزانه — عبد الله بن يوسف التنيسى قد ذكره ابن عدى فى الكامل فى الضعفاء

ويقول في الليث — قال ابن معين كان الليث يتساهل في الشيوخ والسماع وذكره النباً في تذييله على الكامل وهو كتاب في الضعفاء

ويقول في ابن الهاد — يزيد بن عبد الله بن الهـــاد اورد في باب من ذكر في جرح من رجال الموطأ

واما السلسلة الثانية ففيها عبد العزيز بن محمد الدراوردي يرويه عن ابن الهاد

اما ابن الهاد فهو الذي تعرفت به آنفاً ، واما عبد العزيز فليس لائمة القوم وثوق في قوله

يقول في الميزان — ان عبد العزيز بن محمد الدراوردي قد قال فيه الامام احمد انه اذا حدث من حفظه يهم ليس هو بشيء واذا حدث جاء ببواطيل ، وقال فيه ابو حاتم لايحتج بقوله .

ولو فرض ان ادعى الخصم توثيـــق اولئك الرواة فالخصم محجوج بما قرر في اصول الفقه من ان الترجيح في جانب الجارح كما لايخفى ، وعليه فلا مسوغ للتمسك بمثل هـــذه الاخبار التي اطلعت على حقيقة رواتها ومقدار مكانتهم عند أئمة القوم

ولا من شك ان امارات افتعال هذا الحديث تـــترايى لك في اسلوبه من جهة وفيما صح سندا عن اهل بيت العصمة في تكذيبه من جهة اخرى

يقول الصادق جعفر عليه السلام — يايونس مايقول الناس في ابي طالب — اراد بالناس اعدائهم — قال يونس جعلت فداك

يقولون انه فى ضحضاح من نار تغلى منه ام رأسه فقال عليه السلام كذب اعداء الله ان ابا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ويقول الباقر محمد (ع) عندما سئل عما يقول الناس فى ابى طالب وانه فى ضحضاح من نار — لو وضع ايمان ابى طالب فى كفة ميزان وايمان هذا الخلق فى الكفه الاخرى لرجح ايمانه ، ثم قال الم يعلموا ان امير المؤمنين كان يأمر ان يحج عن عبد الله وابى طالب فى حياته واوصى فى وصيته بالحج عنهما ، وهذا الخبر نفسه يروى بسند صحيح عن الصادق (ع) ايضا

ويقول زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام وقد سئل عن حديث الضحضاح — واعجباه ان الله تعالى نهى رسول الله ان يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات الى الاسلام ولم تزل تحت ابى طالب حتى مات

وحاشا اهل بيت العصمة ان يجرهم التعصب لوالدهم فيقولون فيه ماليس له فانهم عدل القران الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنص السنة المقدسة (انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتى) فهم كالقران منزهون عن الزلل والخطل ، وهم المطهرون عن الارجاس فى محكم التبيان

(ومنها) مايرونه عن سفيان بن عيينة عن ابى اسحاق عن ناجية بن كعب

يقول ناجبة قال على (ع) اتيت النبي (ص) فقلت ان عمك الشيخ الضال قد مات يعني اباه فقال (ص) اذهب فواره الحديث

قبل كل شيء يلزمنا ان ننظر في رجال السند الثلاثة ليكون المطلع على بصيرة من امرهم ثم نوكل الحكم في قبول هذه الرواية وعدمه اليه

اما ابن عيينة سفيان فهو مدلس كما في الميزان ، واما عمرو بن عبد الله ابو اسحاق السبيعي فهو من محدثي السوء وشيوخ الرشى الذين يتقاضون من معاوية الراتب الشهري على اختلاق الاحاديث تأييدا لسلطانه وارغاما لانوف ال ابي طالب

يقول الذهبي في الميزان يتقاضى ابو اسحاق السبيعي من معاوية في الشهر ثلاث مائة ويقول روى ابن جرير عن مغيرة انه ما افسد حديث اهل الكوفة غير ابي اسحق ، هذا هو الذي يلزم الخصم بطرح رواية ابي اسحق ، ونحن نستلفت القراء علاوة على ما تقدم الى خصوص مايرويه سفيان بن عيينة عن ابي اسحق ليكونوا على بصيرة من امر هذه الرواية ذلك بما يحكيه في الميزان عن الفسوى يقول الذهبي «قال ابن عيينة يعني سفيان حدثنا ابو اسحاق في المسجد وليس معنا ثالث فقال الفسوى فقال بعض اهل العلم كان قد اختلط ابو اسحاق وانما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه »

وبتعبير اوضح ان القوم لم يأخذوا بما يروى عن ابي اسحاق من طريق ابن عيينة لاخذه عنه حال اختلاطه ليس الا ، ويشهد

لذلك ان مولدابن عيينة سنة ١٠٨ ، ووفاة ابى اسحاق كانت فى سنة ١٢٩ وقيل كانت قبل ذلك ، وبهذا التقريب تستنتج ان ابن عيينة لم يدرك ابا اسحاق الا فى ايام اختلاطه

واليك حلية ناجية بن كعب ، يقول الذهبي فى الميزان توقف ابن حبان فى توثيقه ، وقال الجوزجانى فى الضعفاء هو مذموم وقال ابن المدينى لااعلم ان احدا حدث عن ناجيـة بن كعب سوى ابي اسحاق وابواسحاق هو ذلك المستأجر الذى تعرفت به انفا

هذه حال رجال السند وزد على ذلك ان الروايةمعارضة بما اخرجه ابن عساكر عن على (ع) قال (ع) اخبرت النبى بموت ابي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه

(ومنها) مايقال من ان عليا (ع) وجعفرا لم يأخذا من تركة ابى طالب

يقولون وذلك آية ماندعيه لقوله (ص) لاتوارث بين اهل ملتين ، وفى ذلك مالايخفى فانه لو سلم لهم المدعى والعياذ بالله فهو لايستدعى ان لايأخذ على (ع) وجعفر من تركة ابى طالب فان من ضروريات مذهب اهل البيت (ع) ان المسلم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم ، وهذا هو معنى قوله (ص) لا توارث بين اهل ملتين ليس الا ، لان التوارث تفاعل ، والتفاعل لايحصل الامن طرفين فاذا ورث طرف دون الاخر لم يتحقق التوارث ، وعليه فعـــدم اخذهما (ع) من تركة ابيهما لادلالة فيه على مايدعون

(ومنها) ماينقل من ان ابا طالب لم ينقل عنه انه صلى والصلوة هي التي تميز المؤمن عن غيره

يقول ابن ابي الحديد فى الجواب عن هذه الشبهة — يجوز ان يكون لان الصلوة لم تكن بعد قد فرضت وانما كانت نفلا غـــير واجب فمن شاء صلى ومن شاء ترك ولم تفرض الصـــلوة الا بالمدينة انتهى

على ان عدم النقل لايدل على عدم حصول الصلوة سيما لمثل ابي طالب الذى كان يتستر بمثل الصلوة ونحوها من الشعائر الاسلامية بلحاظ سياسته مع القوم واحتفاظـــا بمركزه فى نفوس الـكفرة لمصلحة الاسلام

ومهما يكن من شئ فما كان فى الحسبان ان مثل ابن ابى الحديد يحيد عن جادة الاعتدال فيتوقف فى ايمان ابى طالب بعد ان سرد فى الفصل نفسه مايوضح له المحجة من شعره الصريح فى ايمانه وبمـا ورد فيه من الاخبار الشاهدة له بذلك .

يقول الفاضل المعتزلى (١) وتقف فى صدرى رسالة النفس الزكية (٢) الى المنصور وقوله فيها انا ابن خير الاخيار وانا ابن شر الاشرار وانا ابن سيد اهل الجنه وانا ابن سيد اهل النار فان هذه شهادة منه على ابي طالب بالـكفر وهو ابنه وغير متهم عليـــه

(١) شرح النهج ج ٣ ص ٣١٧

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط (ع)

وعهده قريب من عهد النبي (ص) ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلا وجملة الامر انه قد روي في اسلامه اخبار كثيرة وروي في موته على دين قومه اخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل فكان كتعارض البينتين عند الحاكم وذلك يقتضي التوقف فانا في امره من المتوقفين انتهى

انت ترى ان توقفه هذا انما هو لوقوف هذه الرسالة في صدره — كما لا يخفى على من عرف لحن القول وفصل الخطاب — عندما نجده يطنب في تغريب امر الرسالة — فان هذه شهادة منه على ابيه وهو ابنه وغير متهم عليه الخ الخ — لكن الفاضل المعتزلي لأمر ما تترس بتعارض الاخبار للتوقف فارتجل ذلك التخلص حيث قال وجملة الامر انه قد روي في اسلامه اخبار كثيرة وفي موته على دين قومه اخبار كثيرة الى ان قال فانا في ذلك من المتوقفين.

اما الاخبار فلا تعارض بينها لمكان التعارض مع التكافؤ واخبار الباب غير متكافئة فان مايرويه الخصم امر تفرد به على مافيه من علات وهنات وضعف وبعد لوجوه اسلفناها لك فيما تقدم، واخبار كهذه لا تصلح لمعارضة اخبار يرويها الفريقان في ايمانه عليه السلام وفوق هذا هي معتضدة باجماع اهل البيت (ع) على وفقها

واما الاسطورة المنسوبة الى النفس فليت ابن ابي الحديد تنبه الى البحث عن راويها وهل هو سوى عثمان بن سعيد بن سعد المدني

كلا ثم كلا وهذا سعيد من مجاهيل الرواة، وعليه فلا ندحـــة عن سقوط هذه الرسالة من صدر امثـــــال ابن ابي الحديد الى حيث مستقرها . . . . . . وليس له او لغيره الا ان يحشرها محشر الاساطير

ان صاحب الوجدان يكاد ان يقتنع جـدا بوضع الرسالة كلا او بعضا لاول نظرة فيها بروية حيث يجد هذه الفقرة (وانا ابن شر الاشرار) لاتكاد تصدر عن مثل محمد صاحب النفس في حق مثل ابي طالب وان سألت عن السبب في ذلك، قلنا لك ان محمـــدا ذا النفس كان يدعي الخلافة وينازع من سواه في امرها وكان الناس في عصره لايشكون في انه هو المهدي، ومن كانت له هذه الشخصية وكانت الثقة فيه عامة يستبعد منه جداً ان يسجل عـلى نفسه بقلمه عند عدوه الالد هذا الـكذب الصريح. (وانا ابن شر الاشرار) لان معنى ذلك هو ان ابا طالب لااشر منـه في عصره او في قومـه وذلك قول تأباه الحقيقة حتى لو فرض محالا ان ابا طالب مـــات على دين قومه حيث لانجد احـــداً من سائر الملل والنحل يقول انه كان اسوأ حالا من ابي لهب او اشر من ابي جهل واضرابهما في الوقت الذي يرى ان شر ابي جهل قد طبق الارض في الطـــول والعرض، وخير ابي طالب وسوقه كل جميل وبذله كل عناية وملاحظة كل رعاية لمحمد (ص) وللاسلام عامة لايجهله ابن انثى وعليه كيف يجوز للعاقل ان يظن صدور مثل هذا من ذي النفس وهو في ذلك المقام المملوء حماسا وافتخاراً، وليت شعري اي فخر يبقى لصاحب

النفس وهو ابن شر الاشرار وهل يفخر بمثل هذا سوى احمــــق مدخول العقل

ايها الفاضل فاضرب صفحا عن ذلك كله ولنسلم لك صدور الرسالة عن النفس بيد انه لنا ان نسئل بأي الدلالات فهمت ان المعنى بشر الاشرار ابو طالب وهل كان في الفقــــرة تصريح او ظهور اوجب انصرافها اليه اللهم لا الا من طريق التخرص ، واذا ارجعنا تعيين مدلول الالفاظ الى التخرص فلماذا لم يكن المعنى بشر الاشرار هو طلحة بن عبد الله فان طلحة هذا والد ام اسحاق وهي جدة صاحب النفس ؟؟؟ ولماذا لم يكن المعني بالفقرة عبـــد العزى جده لامه فان ام صاحب النفس هند بنت ابي عبيدة بن عبد الله بن زمعة ابن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى وهذا عبد العزى من مشيخة كفرة قريش في زمانه ؟؟؟ وبالوجدان ان الانتساب الى آباء الاب والام كليهما ابلغ في مقام الافتخار من الانتساب الى آباء احدهما ، وهل الخرص بأرادة ابي طالب من تلك الجملة الا كالخرص بارادة طلحة وعبد العزى منها ، اذا فاي قرينة عينته دونهما اجيبونا يامنصفون

وهنا نناقش ابن ابي الحديد اذ انه ... لي ما دين من شطط كلامه وغلوائه ... صدوره شهادة النفس الوهمية معللا ذلك بان الشهادة هذه من ابنه ، ولا نقف في صدره شهادة ابنـه الصلبي وهو افضل من صاحب النفس واجـل واعلا

منزلة منه ومحلا فى نفوس الامة بجملتها وقولا واحداً ،

يقول امير المؤمنين على (ع) مامـــات ابو طالب حتى اعطى رسول الله (ص) من نفسه الرضا ، ، يقول عليـــه السلام والذى بعث محمداً بالحق نبياً ان ابى لو شفع فى كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله

وبديهى ان باب مدينة العلم (ع) اعرف بوالده فانه رآه وعاشره زمنا طويلا فوقف على حقيقة امره ، ومحمد صاحب النفس لم يره هو ولا ابوه ولا جده بل ولا ابو جده

تقف فى صدره الاسطورة ولا تقف فى صدره شهادة زين العابدين والصادقين الباقرين محمد وجعفر عليهما السلام وقد تقدمت شهاداتهم (ع) آنفا فى درء شبه حديث الضحضاح فراجع

وانت يارعاك الله تعالى اذا وقفت على قوله فى تقريب صحـــة الاسطورة (وعهده قريب من عهد النبى (ص) ولم يطل الزمـــان فيكون الخبر مفتعلا) ترى العجب فان من البين جلياً انه لو كان المناط فى وضع الاحاديث هو طول العهد عن عهد النبى (ص) لمـــا وضعت ملايين الاخبار فى زمن ابن ابى سفيان كما اعترف به ابن ابي الحديد نفسه فراجع مانقلناه عنه آنفا تحت العنوان الرابع عشر ، ولكان افتعال الاخبار فى زمن العباسيين بناء على قاعدته التى ضربها اولى واجلى

ان بعض متأدبي هذا العصر ينظم ابن ابى الحديـــد فى سلك

الأماميه وانت ترى فى اعراضه عما ورد عن أئمتهم صحيحا فى ايمان ابى طالب وفى اختياره التوقف فى امره اكبر شاهد على فساد رأى ذلك المتأدب وخير دليل على مواربة ابن ابى الحديد لابي طالب وال ابي طالب وشيعتهم

وعلى اى حال فاننا لو اردنا مماشاة ابن ابى الحديد فى الموافقة على مايرتأيه من التعارض بين طائفتي الاخبار فاننا لايسعنا ان نقف معه حيث وقف فى ايمان ابي طالب لان اكتشاف الحقيقة وتعرف الواقع غير منحصر فى السنة والا لطال وقوفنا فى كثير من الاحكام لدى التعـــارض

هذا كتاب الله وهو الحجة القاطعة لـكل خصام لدى كل مسلم يهتف بنا قائلا (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنـــا) ومن المعلوم ان المراد بالسلم فى الايـــة هو السلام وكلاهما بمعنى الاستسلام كما نص على ذلك الزمخشرى فى كشافه وهو نظير قوله تعالى (والقوا الى الله يومئـــذ السلم) اى انهم استسلموا للامر وانقادوا اليه

واذا رجعت الى شعر ابى طالب محللا منه نفسيته ومستكشفا منه ميله وهواه لوجدته اصدق شاهد على استسلام شيخ الابطح وانقياده الى هذا الدين بل لوجدت روح الايمان الصادق تتجـــلى لك من خلال ابياته وتلوح لعينيك ظاهرة بين فجواته ومنعرجاتـه هذا شيخ الابطح ينشد بملء فيه مناديا

ياشاهد الله على فاشهد   اني على دين النبي احمد
من ضل فى الدين فاني مهتدى

حقا ان لم يكن هذا صريحا فى الايمان فلا اقل انه صريح فى القاء السلم كما لايخفى

والا فما الذى حدا امنع الناس داراً واعزهم جواراً ان يهتف بهذا النداء ويشهد شاهد الله على مايقول سوى الانقياد لمحمد (ص)

بهذا ونحوه يلزمك الكتاب المجيد بالاعتراف فى ايمان ابى طالب ولا يدع لك مجالا للتوقف فيه، هذا كله على التنازل مع ابن ابي الحديد والافهاك صفحة من نفسية ابى طالب تقرأ فيها توحيده للخالق وايمانه بالمبدأ والمعاد واقراره بالعبودية له تعالى

يقول ابو طالب

مليك الناس ليس له شريك   هو الوهاب والمبدى المعيد
ومن تحت السماء له بحق   ومن فوق السماء له عبيد

وهاك الصفحة الاخرى فى بيتين له آخرين تتلو فيها اقراره برسالة محمد (ص) من لدن جبار السماوات والارض

نصرت الرسول رسول المليك   ببيض تلألأ كلمع البروق
اذب واحمى رسول الاله   حماية حام عليه شفيق

هذه الابيات الاربع تكفلت بتحليل نفسيته فصورته لنا موحدا مؤمنابالله ورسوله واليوم الاخر

واليك ايضا مايدلك صريحا على ايمانه بكتاب الله المنزل على نبيه المرسل حيث يقول

انت الرسول رسول الله نعلمه　　عليك نزل من ذى العزة الكتب

ففى هذه الابيات مايكفى لافلاج حجة الخصم واقامة الحجة عليه فيما تمحل له من التشكيك فى ايمان شيخ الابطح سيما وان الايمان عند الخصم لايتوقف على لفظ خاص كقول (لااله الا الله محمد رسول الله) بل ان المعروف من طريقته اثبات الايمان بكل لفظ يدل على الشهادة بالتوحيد والرسالة وان لم يكن بتلك الصيغة الخاصة بل وان لم يكن باللغة العربية كما يرشدك الى ذلك ماحكاه العلامة الدحلانى فى اسناه ص ٥ نقلا عن السيد محمد البرزنجى قال ثم ليعلم ان المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصها كما ذكر النووى فى الروضة ونسبه الى الجميع فنقل عن الحليمى فى منهاجه انه لاخلاف ان الايمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لااله الا الله حتى لو قال لااله الا الرحمن او الا الرحيم اوما من اله الا الله وكذا لو قال محمد نبى الله او مبعوثه او احمد مبعوثه او غير ذلك اوما يؤدى ذلك باللغات العجمية صح اسلامه وحكم بكونه مسلما انتهى

ومن هنا يمكنك ان تستدرج ان القوم لايفرقون فى الاقرار بالشهادتين بين النظم والنثر كما ان الحو،

ان شعر ابي طالب في هذا الباب كثير وكثير جدا فمن ذلك قوله

لقد علموا ان ابننا لامكذب　　لدينا ولا نعبا بقول الاباطل

وقوله

الم تعلموا انا وجدنا محمداً　　نبياً كموسى صح ذلك في الكتب

وقوله

انت ابن آمنة النبي محمد　　عندي بمثل منازل الاولاد

وقوله

والله لااخذل النبي ولا　　يخذله من بني ذو حسب

وقوله

نبي اتاه الوحي من عند ربه　　ومن قال لايقرع بها سن نادم

وقوله

انت النبي محمد　　قرم اغر مسود

وقوله

الا ان احمد قد جاءهم　　بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله في ابيات

او يؤمنوا بكتاب منزل عجب　　على نبي كموسى او كذى النون

وقوله يخاطب النجاشي كتباً

اتعلم ملك الحبش ان محمداً　　نبي كموسى والمسيح بن مريم

اني بهدى مثل الذي اتيا به ... وكل بأمر الله يهدى و يعصم (١)
وانكم تتلونه فى كتابكم ... بصدق حديث لاحديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً واسلموا ... وان طريق الحق ليس بمظلم

يدين ابو طالب بدين الحق ويعترف لدى محكمة الضمير بأن محمداً كموسى وكالمسيح بن مريم قد صدع بأمر الله تعالى يهدى الى الصراط السوى يدين بذلك كله عن اجتهاد ومعرفة ولذا اهل نفسه لان يكون كمبشر دينى يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويدعم الدعوى بالحجة ، ففى اول كلامه مع ملك الحبشة استعلم حاله فقال اتعلم ان محمدا كموسى والمسيح ولما كان ذلك دعوى مجردة والدعوى لاتقبل بدون برهان وسيما مثل هذه الدعوى ادلى بحجته فى البيت الثالث فقال له ايها الملك انكم اهل دين وكتاب سماوى وكتابكم هذا اكبر شاهد على ماأقول فى شأن محمد (ص) وما انتم تتلونه فى المساء وفى البكور . ذلك الكتاب الذى لاريب فى صدق حديثه عندكم وبعد ان الزمه الحجة دعاه الى الطريق اللاحب فقال (ولا تجعلوا لله نداً) البيت

وقوله يخاطب النبي (ص)

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا

---

(١) هكذا

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ولقد علمت بأن دين محمـــد من خير اديان البرية دينا

يبتدئ ابو طالب كلامه مع النبي (ص) بيمين الاخلاص لعرش النبوة بحماس شديد (والله لن يصلوا اليك بجمعهم) البيت ، ثم يطلب منه (ص) نشر لواء النبوة على ربوع الحجاز (فاصدع بأمرك) و يشجعه على ذلك طوراً بنفي المخافة وتارة بتعهده بذلك (وابشر بذاك وقر منك عيوناً) ثم يجيب نداء المبعوث بالحق للخلق كافة ، فيشهد عن علم جازم ويقين ثابت بأن دين محمد (ص) خير دين اخرج للناس (ودعوتني وعلمت انك صادق) الى آخر البيتين .

ان فيما ذكرنا من منظومه في هذا الباب ما يميط جلباب الظلام عن وجه هذه المشكلة ولئن شكك مشكك في بعض ما نقلناه من المنظوم ففيما صحت روايته عنه (ع) عند الفريقين كفاية وقـــد ذكرنا تحت عنوان شعره ما صحت روايته عند الجميع فراجع



كلمة الختام

تستوضح فيها تحامل القوم على ابى طالب

١٦

طالما حملنا الخصم على احسن المحامل وانتحلنا له اعذاراً بقدر الامكان حتى لم يبق فى القوس منزع ولا للحمل على الصحة موضع ذلك لما نشاهده من اختلاف احواله وتناقض اطواره

يتشبث بما هو اوهى من بيت العنكبوت وبأخبار حلمية ليثبت النجاة تارة والايمان اخرى لكل قاسط عاهر، ومارق، مارق، وفاجر كافر، فاذا ذكرت له ابا طالب انعكست القضية وتغير المنحى وانقلب الامر رأساً على عقب ولذا تراه يستمسك باخبار الضعاف والكذبة لاثبات كفره والعياذ بالله. ويرشدك الى مانقول ما فى ضياء العالمين

يقول المحقق الفتوني صاحب الضياء ذهب جمع الى ان قاتل عمار بن ياسر فى الجنة، ذلك لان رجلا رآهما فى المنام معا فى الجنة فى حين ان النص الصحيح الصريح عندنا وعندهم قد ورد عن النبي (ص) قائلا ان قاتل عمار فى النار، وبتلك النغمة جاريا جمع منهم ايضا فقالوا ان قتلى القاسطين فى صفين وقتلى المارقين فى النهر وان فى الجنة ذلك لرؤيا رآها شرحبيل بن السمط عامل

معاوية على حمص وشريك بسر بن ارطات وابى الاعور السلمى فى اعمالها ومنا كيرهما فى توطيد دعائم ملك معاوية وقد ذكر ذلك الاستيعاب فى ترجمة شرحبيل وهذا القدر يكفى فى تعريف شرحبيل.

يقولون قال شرحبيل رأيت فى المنام عمار بن ياسر وذا الكلاع — الذى قتله اصحاب على (ع) — فى ثياب بيض فى افنية الجنة فقلت الم يقتل بعضكم بعضا فقالا بلى ولكن وجدنا الله واسع المغفرة، فقلت مافعل اهل النهروان — يعنى الخوارج — فقيل لى لقوا ترجاة

ولقد اغرب فريق منهم فذهب الى ايمان فرعون حيث قال وقد ادركه الغرق (آمنت ان لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل) والحال ان صريح القرآن يرده (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)

ومن ذلك قولهم ان حاتم الطائي يدخل النار لكفره لكن لايعذب مطلقاً لجوده وان كسرى انو شروان لايعذب لعدله.

هذا هو المعروف من حالهم، فاذا عرجت بهم على ابي طالب قالوا هو فى ضحضاح من نار تغلى منه ام رأسه. يا سبحان الله اترى ان كسرى ينفعه عدله وحاتم يدفع عنه العذاب جوده ولا تنفع ابا طالب قرابته القريبة من الشفيع محمد (ص)، ولا يغنى عنه جهاده

بين يديه ، وذبه عنه ، وتعريضه اولاده للقتل دونه و مداحه له ونعماته عليه مدة حياته و و و الى اخر ماهنالك وليت شعري كيف يكون ابو طالب والحالة هذه اسوأ حالا من حاتم وكسرى فى حين ان لكل واحد منهما خصلة واحدة نظير العدل والجود مثلا تكفل النجاة حسب المدعى ولا يكون نظير ذلك لابى طالب وهو الذى له الخصال الحميدة التى لاتحصى اترى يجوز عقلا او ينطلق على قاعدة منطقا ان يكون ابو طالب طول حياته مع النبى (ص) على حالته التى عرفتها من جلاد وجهاد باليد والقلب واللسان وبذل كل عدة وعتاد بين يديه (ص) ثم تكون نتيجة اعماله هذه مع النبى الكريم ان يترقب فرصة موت ذلك العم البار ليجعل اجر احسانه وجزاء بره وحنانه ذمه وقدحه من جملة سنته ، يخبر الناس تارة انه جمرة من جمرات جهنم وطوراً انه فى ضحضاح من نار تغلى منه ام دماغه الى غير ذلك

هبوا ان ابا طالب والعياذ بالله كما تزعمون فهل جزاء الاحسان الا الاحسان ، وبأى الاء ابى طالب تكذبان

اين اداء حق ابى طالب اين اجر حماطه اين ذكر مودته اين وضع ذلك كله ابو طالب اتراه وضعه فى غير محله فذهب ادراج الرياح وجورى بالسوأى عن الاحسان كلا ثم كلا

اليس النبى (ص) هو القائل لاتؤذوا الاحياء بسبب الاموات

ولما اخبرته بنت ابي لهب ان الناس يقولون لها بنت. حطب النار قام مغضبا وقال (١) مابال اقوام يؤذونني في قرابتي من اذى قرابتي فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى اوكان ابو طالب اشر من ابي لهب فغضب النبي لابي لهب لقول الناس فيه حطب النار، ولا يتحاشى هو من ان يحدث الناس بأن ابا طالب جمرة من جمرات جهنم او كانت بنت ابي لهب اغير على ابيها من علي (ع) وجعفر وعقيل او كانت هي اجل منهم واعز مكانة عند النبي (ص)

ايها الخصوم لم نر النبي (ص) بالغ في ذم احد من مردة قريش وكفرتها بعد موت احدهم حتى الاعداء الالداء الذين حاربوه والجموه بجملة من ذوي رحمه راذا فما قولكم فيما تدعونه وتروونه عن النبي (ص) من الذم والطعن في ابي طالب ولست ادري كيف صارت محامد ابي طالب اسوأحالا من مخازي كفرة قريش وعليه فها انا استفتي الخصوم في ذلك فما يقولون

واعجب مارأيته من الخصوم تضاهرهم في المراوغة عن طريق الحق، نذكر لهم مغامرة معاوية في الدين وولوغه في دماء المسلمين وقيامه على علي (ع) ظالما له، ونذكرهم بسوائق يزيد واحداثه في الدين وتهتكه بمرأى ومسمع من كافة المسلمين، فيقولون ان تلك الاحوال غابت عنا وبعدت اخبارها عن حقائقها فلا يليق بنا ان

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي، الاسنى ٢٣ .

نخوض فى دقائق امور الملك واحوال بنى عمه ، لـكن هـلم فاسمع اللغط والغلط والهرج والهذيان وتسطير الاساطير التى ما انزل الله بها من سلطان عندما تلقى عليهم طرفا من المذاكرة فى شأن ابي طالب عم النبي (ص) او شأن والده (ص) او امه حيث ترى منهم من يقول ماتوا كفارا وآخرين يقولون اولئك جمرات جهنم ، واحدهم يقول ابو طالب مات على الكفر والضلالة ، واخر يقول نعم ابو طالب فى ضحضاح من نار ، واخر ينادى رسالة النفس رسالة النفس تشهد بكفره وهكذا تأتي نغماتهم متساوية التوقيع على اوتار الاهواء

فى هذا المقام اعرضوا عن قاعدتهم التى ضربوها — قبح الخوض فى دقائق امور الملك واحوال ذوى رحمه — هكذا نرى منهم التناقض فى القول والعمل والمراوغة البينة بدون خجل

ايقبح من الرعية الخوض فى احوال ابناء عم الملك الذين مازالوا منذ كانوا يبغون الغوائل ويريدون النوازل فى الملك ويعملون ليلهم ونهارهم على محق قانونه من اصله ولا يقبح الخوض فى احوال والد الملك ووالدته وعمه الذى بذل كلما فى وسعه فى حماية الملك من اعدائه وسعى سعيه الذى به انتشر قانونه فى الافاق نعوذ بالله من سبات العقل واتباع الهوى

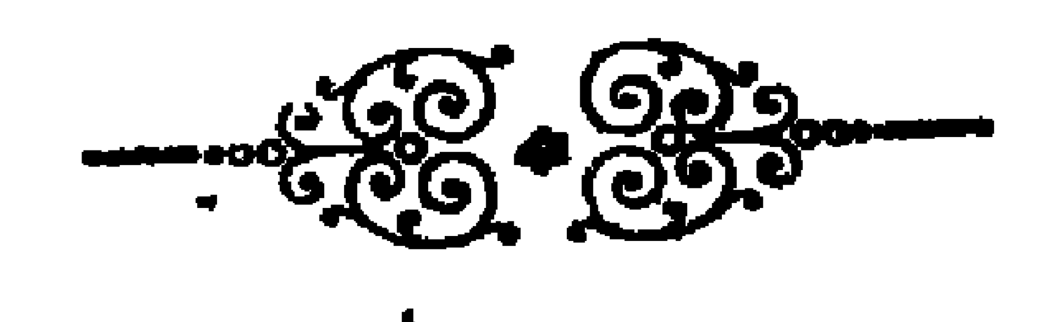
وخذ لك مثلا حب البعض منهم البقاء على الجهل مشيا مع سياستهم الزمنية لتعلم ان القوم بجملة صنوفهم فى معزل عن

الحقيقة ذلك ماحصل للوزير يحيي بن هبيرة مع ابي الفوارس يقول ابو الفوارس الشاعر حضرت مجلس الوزير يحيي بن هبيرة ومعي يومئذ جماعة من الاماثل واهل العلم منهم الشيخ ابو الفرج بن الجوزى وابو محمد الخشاب اللغوى وغيرهما فجرى حديث شعر ابى طالب فقال الوزير ما احسن شعره لو كان صدر عن ايمان فقلت فى نفسي والله لاجيبنه بالجواب قربة الى الله تعالى، فقلت له يا مولاى ومن اين لك انه لم يصدر عن ايمان، فقال لوصدر عن ايمان لكان اظهره ولم يخفه فقلت لو اظهره لم يكن للنبي (ص) ناصر فسكت ولم يحر جوابا، وكان لى عليه رسوم فقطعها من ذلك اليوم وكان لى فيه مدائح مسودات فغسلتها جميعا

انظر الى حالة معالى الوزير والى حبه البقاء على الجهل حيث لم يرتض الجواب بل سكت واجما مضمراً لابى الفوارس السوء كما فعل، فلو انه اراد الحقيقة لافسح لابى الفوارس المجال فى الكلام ولتبادلاه مليا ولأكثرا فيه البحث والتنقيب كلما لم يقتنع حتى يقع على كبد الحقيقة فانها بنت البحث، لكن ما العمل (انلزمكموها وانتم لها كارهون) فانا لله وانا اليه راجعون

هذا ماأردنا بيانه وقدتم تسويده فى النجف الاشرف على مشرفها الاف التحية والسلام فى السادس من ربيع الاول

عصر الجمعة سنة ١٣٤٩ هـ على يد مؤلفه الفقير الى
مغفرة ربه الغنى عبد على شرف الدين الموسوى
العاملى غفر الله له ولوالديه والحمد لله اولا
واخراً وصلى الله على سيد المرسلين
محمد واله الاطيبين وسلم تسليما
كثيرا



يطلب هذا الكتاب

في بغـــداد ــ من المكتبة العصرية والمكتبة العربية وفي سائر الجهات العراقية من فروع المكتبة العصرية

في الكاظمية ــ من مكتبة النجاح، ومن الشيخ تقي الكتبي في سوق الاسترابادية

في كربلا ــ من محمد صبري فرع المكتبة العصرية

في النجـــف ــ من الشيخ احمد الكتبي في السوق الكبير ومن الشيخ صادق الكتبي

في صيـــدا ــ من ادارة العرفان

في صـــور ــ من محمد توفيق افندي حلاوي واولاده

في النبطيـــه ــ من حسين افندي شمس

في بـــيروت ــ من شيخ سليم البرجي (سوق سرسق)

في دمشـــق ــ من الحاج زاهد بيضون (شارع الخراب)

في بعلبـــك ــ من محمد علي افندي علاء الدين

في دكار السنغال ــ من مصطفى افندي اسعد واولاده وكذا في كوناكري

في سير اليون ــ من عبد الكريم افندي بيضون

في الولايات المتحدة ــ من الشيخ خليل بزي

في الارجنتين ــ من الشيخ عبد اللطيف الخشن

ثمن النسخة

ربية في العرق ونصف ليرة سورية في سوريا وشلنان في امريكا وافريقا وسائر الجهات يحسم للكتبية ولمن يشتري كمية من الكتاب عشرون بالمائة